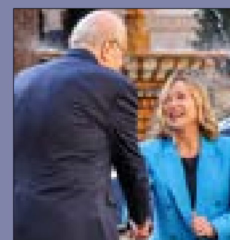
الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

السبت 19 تشرين الأول 2024
العدد 5327 السنة التاسعة عشرة
Samedi 19 October 2024 nº 5327 19ème année

16 صفحة
50000 ليرة





هوكشتين يعلنها: نريد تعديل القرار 1701

أين موقف الحكومة والسياديين من «لائحة التدخّلات الأميركية» في لبنان؟

صواريخ ومسيّرات الى ما بعد حيفا

المقاومة تطلق المرحلة الجديدة

على الغلاف

هذا نموذجهم عن «يومهم التالي»

إبراهيم الأمين

هل أنت مجنون لتقاتل أميركا؟

هي عبارة دأب كل رافض لمبدأ المقاومة على استخدامها في معرض تبرير استسلامه لإرادة أميركا وليس لإدارتها فقط. من يعمّمون هذا النموذج من الفعل الدوني لا اسم لهم سوى أنهم عملاء للأميركيين، ليس فقط بسبب استسلامهم، بل لأنهم يعرفون أن بقاءهم رهن قيامهم بدعوة الآخرين إلى الاستسلام. لذلك يتطوّعون لترهيب كل من يعارض الولايات المتحدة بأن ما ينتظره هو الموت قتلاً أو جوعاً أو نفياً. لكنهم، وهم يفعلون ذلك، لا يتحدثون عن القاتل، ولا عن مسؤوليته عن فعل القتل، بل يحمّلون الضحية مسؤولية موته لأنه لم يستمع إلى النصيحة، فسار الى نحبه راضياً مرضياً.

يقول هؤلاء لنا: لا تقاوموا أميركا لأن عقابها سيكون شديداً وقاسياً. ويستدلّون على الكلفة الباهظة لمقاومة الإرادة الأميركية والأوروبية بالإشارة إلى سوء أحوال دول وشعوب ركبت هذا المركب. ومن دون أن يسألهم أحد، يوغلون في الشرح: ستُحرمون من الحياة الكريمة، وسيُفرض عليكم حصار مالي واقتصادي، وسيُمنع عنكم أي نمو وازدهار، وسيتم إخراجكم من دورة الاقتصاد العالمي، ولن تحصلوا على علم جيد، ولا على خدمات صحية، ولن تكون لديكم مرافق عامة جيدة، وستُعزلون فلا يزوركم أحد ويُمنع عليكم السفر.

وهؤلاء العملاء، عندما يشيرون إلى بلاد أنهكها الحصار الأميركي، كسوريا والعراق وإيران وكوريا الشمالية وكوبا وفنزويلا وغيرها، يعودون فوراً إلى انفصامهم، ويتهمون أهل هذه الدول بأنهم سبب هذه المصائب.

ما الذي يمكن أن يقوله المرء لهؤلاء؟

كيف لك أن تهددني بحرماني من حقي في الحياة إن خالفت الرغبة الأميركية، ثم تتهمني بأنني مسؤول عن الكوارث التي تصيب بلادي بسبب الحصار الأميركي. هل سأل هؤلاء مرة واحدة عن حجم الأموال التي سرقتها أميركا من كوبا وإيران مثلاً؟ هل يعرفون ما الذي كان يمكن لهذه الأموال، وهي ملك لشعبَيْ إيران وكوبا، أن تفعله في مجال تطوير القطاعات العامة فقط؟.

ما يقترحونه علينا فعلياً هو أن نحلم بحياة كالتي يعيشها أهل محميّات الخليج، لكنهم يدعوننا فعلياً إلى أن نعيش كأهل الأردن ومصر والمغرب، حيث الحكم لطغاة ممنوع انتقادهم، والغرق في اقتصاد ريعي، وألا نفكّر في أي نوع من الاقتصاد المنتج. وعندما نقع تحت الضغط، ونسأل عمن يمدّنا بالأموال على شكل ديون، يقولون لنا إن أي برنامج إقراض مالي للبنان، من قبل صناديق عالمية أو إقليمية أو عربية، لن ينجح إلا في حالة تخلصتم من المقاومة، قبل أن يسارعوا إلى مقايضة ما نملكه من أصول في هذه الدولة مقابل فوائد هذه الديون فقط. أليس هذا ما هو قائم الآن في مصر والأردن والمغرب، حيث التحالف الوثيق مع أميركا والعلاقة العادية مع إسرائيل؟

أما إذا حاولنا الحصول، بطرقنا الخاصة، على بعض الدعم لإنتاج كهرباء للإنارة فقط، فيهددوننا بعقوبات تصيب قطاعات أخرى، ويقولون لنا: ممنوع عليكم الحصول على نفط من أي دولة في العالم إلا بموافقتنا، وسنعاقبكم بحرمانكم مما تبقّى معكم إذا تجرأتم وأخذتم دعماً من دول معارضة لأميركا. والأمر هنا لا يتعلق بإيران فقط. بل قالوا ويقولون لنا بفجاجة: إذا فكرتم بالحصول على دعم صيني لشبكة الاتصالات مثلاً، فستواجهون عقاباً شديداً. فهل تقف الصين في محور المقاومة ضد إسرائيل، وهل هي منخرطة أساساً في أي نوع من القتال مع أميركا؟ كما يمارسون ضغوطاً على العراق لوقف مدّنا بالفيول لإنتاج بضع ساعات من الكهرباء. ويقول الأميركيون علناً إن أي دعم سيأتي إلى لبنان، سيكون وفق رغبتهم، وسيُنفق حيث يقررون هم. حتى الجمعيات الخيرية التي كانت وسيلة لمساعدة الشعوب الفقيرة تمّ حصرها بيد الدول فقط.

ها هي التجربة مع قطر. مسموح لها توزيع المساعدات، لكن من دون أن تختار الجهات المدعومة، وإنما التزام البرنامج الأميركي الخاص في لبنان، وأن يقتصر دعمها على الجيش اللبناني فقط. صحيح أن أحداً لا يعارض دعم الجيش، لكن من غير المسموح لقطر أن تقوم مثلاً، بإنشاء أو امتلاك معامل لإنتاج الطاقة الكهربائية العاملة على الغاز، إلا في إطار برنامج سياسي جديد في لبنان، أساسه نزع سلاح المقاومة. ويسمحون لقطر بعرض المغريات على من يسير في انتخاب رئيس للجمهورية ترضى عنه أميركا. والقطريون أنفسهم لا ينكرون هذا الأمر. ومن يسألهم، يجيبونه بصراحة كاملة: لا يمكننا مقاومة الضغوط الأميركية. وإذا جرّب البعض إحراجهم فإنهم يشيرون إلى تجربتهم في فلسطين: كل الأموال التي كنا نرسلها إلى قطاع غزة، كانت بعلم وموافقة الأميركيين (والإسرائيليين) أولاً وأخيراً. حتى استضافتنا لقيادة حماس، وإن كنا نقبل بها، إلا أنها لم تكن لتكون لولا موافقة أميركا.

أما السعودية والإمارات والكويت فهي دول صارت في عالم آخر، ولدى حكامها الجدد حساب طويل مع لبنان. ومن يدقق، فسيتاح له الاستماع إلى أمور لا يريد أنصار أميركا إخراجها إلى العلن رغم أنها شديدة الوضوح، وقد اختصرها كبير السحرة عندهم. فقد تحدّث محمد بن سلمان ذات مرة لأحد الوسطاء بصراحة كبيرة: لقد أنفقنا عشرات المليارات في لبنان، سرقها السياسيون، وفي مقدّمهم من كانوا يعملون معنا. وعندما حاولنا الحصول منهم على مقابل بسيط، على شكل دعم في معركتنا ضد إيران وأنصارها، ابتعدوا هاربين من ساحة المعركة. نعرف أن معهم الكثير من الأموال، فلماذا يريدون منا المزيد ولا يريدون إنفاق القليل في بلدهم؟ لينهي ابن سلمان مطالعته ساخراً: لا حاجة إلى أن يطلب الأميركيون منا عدم مساعدة لبنان، فنحن أصلاً لم نعد نشعر بالحاجة إلى هذا البلد. هو كدولة لا يفيدنا في شيء، وما قد نحتاج إليه، هو خدمات بعض اللبنانيين، ونحن نتعامل معهم كأفراد. ولدينا المغريات المالية الكبيرة لاستقطاب من نريده.

> لك أن تحلم برفاهية مع صمت كأهل الخليج، لكنك ستعيش فعلياً عند حافة الموت كأهل مصر والأردن... وإذا ما قرّرت المقاومة، فتوقّع عقاباً مفتوحاً، أوله الموت قتلاً أو جوعاً أو نفياً

وشرطنا واضح ومحدد: أنت تعمل عندنا، وليس معنا فقط.

ولا يخفي حكام الجزيرة أيضاً أن وقف كل أشكال الدعم للبنان مرتبط أيضاً بالبرنامج السياسي الأميركي. في الكويت، نشأت حالة انعزالية غير مسبوقة، أضعفت موقعها حتى بين دول الخليج، وهي سياسة جعلتها خارج المعادلة. بل إن حكامها يعرّضون استقرارها السياسي والاجتماعي للخطر، بسبب الانصياع الأعمى لما تريده السعودية.

أكثر من ذلك، فإن دولاً مثل السعودية والكويت ألغت كل الاستثمارات في لبنان، وما وضعه أثرياء الجزيرة من أموال في مصارف لبنان، عاد عليهم بعائدات هائلة، وعندما وقعت الأزمة، نجح بعضهم في سحب أمواله، بينما خسر منهم ما خسر، مثل بقية المودعين. أما القصور وبيوت الضيافة فلم تعد من حاجة إليها، إذ إن الأجيال الجديدة في محميات الخليج باتت لديها وجهات أخرى غير لبنان، سواء للسياحة أو التعلّم أو الاستشفاء. وما تنفقه هذه الدول في لبنان اليوم يقتصر على ما يخدم البرامج السياسية، لكنه يخدم أكثر البرامج الأمنية لهذه الدول.

أكثر من ذلك، هل يعرف أحد أن حاكماً مثل محمد بن زايد لا يجد حاجة إلى أن يكون هناك سفير لبلاده في لبنان؟ فقد أجرى الرجل مع فريقه الأمني والسياسي مراجعة شاملة قبل نحو عامين، وخلص إلى أن ملف لبنان ليس من اختصاصهم إلا عندما تفرض الولايات المتحدة ذلك، وبما لا يغضب السعودية على وجه التحديد. ولجأت حكومة أبو ظبي إلى اعتماد استراتيجية من نوع مختلف. فهي لا تتخذ موقفاً محايداً، بل هي إلى جانب إسرائيل في الصراع القائم، ولديها مخاوف كثيرة من تعرّض مصالحها للخطر في بيروت، وهي، مثل السعودية، تعتبر أن ما تحتاج إليه من لبنانيين يمكنها استقطابه، وإدارته بالطريقة التي تريدها، ووفق القوانين التي تسنّها، حيث يُمنع على أي لبناني التحدث بالسياسة أصلاً، ومن يتحدّث يفعل ذلك بصوت خافت، أما من يخرج إلى العلن، فيجب أن يكون مأذوناً له بذلك، وهو أصلاً لا ينطق بخلاف ما تريده هذه الدولة. وإذا ما سألت اللبنانيين هناك حول كيفية تعايشهم مع هذه الدولة البوليسية يكون الجواب جاهزاً: هذه قوانينهم، إما أن تحترمها أو تغادر البلاد. ولكن، ماذا عن عشقكم للحرية والتعبير، وهل لديكم الحق بالتضامن مع أهلكم في لبنان؟ يأتي جوابهم بما هو أكثر مأساوية: أي دعم، يجب أن تعرف به الدولة الإماراتية، ومن يريد أن يرسل الأموال مثلاً، ولو إلى جهات غير معادية للإمارات، فعليه أن يأخذ الإذن أولاً، وأن يفعل ذلك من دون المرور بالأدوات المصرفية الإماراتية. لكنّ هؤلاء أنفسهم يسارعون إلى إغراقنا بالحديث عن دولة متقدّمة أكثر من أميركا وأوروبا، كل شيء فيها يسير بتقنيات شديدة التطور، وحيث يمكنك أن تأكل وتشرب وتسكن وترفّه عن نفسك، وتتحدث عن أنواع السيارات والعطور وأفلام الأكشن... وحيث لا شأن لك بما يحصل في العالم، فلماذا تتعب نفسك بمشاهدة القتل في غزة أو لبنان... «شو بدك بالسياسة“!.

قبل نحو عامين، تحدّث الأكاديمي المحترم، سمير المقدسي، عن رغبة الإمارات بجذب الكوادر الأكاديمية اللبنانية لتدريس العلوم الإنسانية، وكان جوابه: كيف لك أن تعطي دروساً في علم السياسة والاجتماع والنفس والأدب في دولة ممنوع فيها التفكير من أصله؟

جماعة أميركا يعرضون علينا خيار دول الخليج كنمط للحياة، وهم يعرفون أن هذا مستحيل حيث لا نفط عندنا ولا غاز، لكنهم يتجاهلون أن ما يعرضونه علينا في الحقيقة، لا يتعدى نماذج الأردن أو مصر أو المغرب، حيث الحكم يديره طغاة، وحيث لا معنى أيضاً، لفكرة الحرية التي يتغنّون بها، وحيث الحياة تستمر جيدة للفاسدين من أهل الحكم، وعادية عند أزلامهم في المؤسسات العامة والخاصة، أما بقية الناس فلهم أن يرقصوا عند حافة الفقر.

هذا هو "يومهم التالي» الذي يريدون لنا أن نفكر فيه الآن.

ما يجب أن نعرفه نحن أولاً، يعرفه هؤلاء تالياً، هو أننا نعيش «يومنا الحالي» مع المقاومين في كل نقطة عند الحدود أو في العمق، وأن ما نهتم له، من أجل مستقبل نحفظ فيه حقنا في الحرية، وننتزع فيه حقنا بالحياة الكريمة، هو أيضاً رهن ما ننجزه في «يومنا الحالي»، حيث تدور معركة المقاومة الطويلة!

المقاومة تفتتح «المرحلة الجديدة»: استهداف قواعد الدفاع الجوّي في حيفا وما بعدها



دمار في النبطية (مروان بو حيدر)

واصل حزب الله تكثيف ضرباته على مواقع وقواعد وأماكن انتشار قوات جيش العدو في المنطقة الحدودية، والتصدّي لمحاولاتها التوغّل براً في الجنوب اللبناني. واستمرت صواريخ المقاومة في دكّ المواقع العسكرية في المستوطنات الحدودية، وقواعد عسكرية ومستوطنات في عمق الكيان. وفي المقابل، واصل جيش العدو شنّ هجمات دامية على لبنان بهدف الضغط على المقاومة، وفي محاولة للتعويض عن الفشل في الميدان.

وبعد إعلان «غرفة عمليات المقاومة الإسلامية» بدء مرحلة جديدة تصاعدية من قتال العدو، نفّذت المقاومة أمس، ضمن سلسلة عمليات «خيبر»، عمليات استهدفت عمق الأراضي المحتلة في منطقة حيفا. وأطلقت صلية من الصواريخ النوعية استهدفت مدينة حيفا، وصلية أخرى استهدفت موقع كريات إيلعيزر (قاعدة الدفاع الجوي الرئيسية) غرب المدينة، إضافة الى إطلاق سرب من المُسيّرات الانقضاضية على قاعدة نشريم جنوب شرق حيفا، وسرب آخر على قاعدة عين شيمر (قاعدة للدفاع الجوي الصاروخي وقاعدة اللواء الإقليمي) شرق الخضيرة. كما أطلقت صلية صاروخية باتجاه الكريوت شمال حيفا.

ويبدو أن المقاومة تبعث برسائل من خلال هذه الاستهدافات حول شكل المرحلة المقبلة التصاعدية، والتي بدأت باستهداف القواعد العسكرية الرئيسية والحسّاسة في منطقة حيفا، وهو ما يدلّ على القدرات التسليحية والعملياتية التي لا تزال تتمتّع بها المقاومة، رغم ضراوة القتال وكثافة الغارات الإسرائيلية على غالبية المناطق اللبنانية، ما يكذّب مزاعم العدو بأنه تمكّن من القضاء على قدراتها النوعية والاستراتيجية، فضلاً عن قيادتها العسكرية. وإضافة الى المرحلة الجديدة، تابعت المقاومة برنامجها لاستهداف القواعد والمصانع والتجمّعات العسكرية في المنطقة الشمالية، وتحديداً منطقة زوفولون شمال محيفا، وثكنة يواف في الجولان السوري المحتل، وتجمعات لجنود العدو في مدينة صفد المحتلة، بصليات صاروخية.

> بعثت المقاومة في الميدان، برسائل حول شكل المرحلة المقبلة التصاعدية

وفي القتال البرّي، استهدفت المقاومة تجمعاً لجنود العدو الإسرائيلي في محيط بلدة عيتا الشعب بصليات صاروخية كبيرة، مرّتين على التوالي. كما استهدفت تحرّكات لجنود العدو عند أطراف بلدة كفركلا، بقذائف المدفعية، وتجمّعاً آخر عند نقطة عبّارة كفركلا (نقطة حدودية)، مرّتين، بقذائف المدفعية وبصلية صاروخية. وأطلقت صلية صاروخية باتجاه موقع رأس الناقورة البحري، وباتجاه تجمع لقوات العدو في مستعمرة شلومي. وبعدما دمّرت أول من أمس 6 دبّابات ميركافا، أعلنت المقاومة أمس، تدمير دبابة جديدة في محيط موقع العباد الإسرائيلي، بصاروخ موجّه، ما أدى إلى احتراقها ووقوع طاقمها بين قتيل وجريح. كذلك، تصدّت وحدة الدفاع الجوي لمُسيّرة إسرائيلية في أجواء الجنوب بصاروخ أرض - جو، فأجبرتها على التراجع ومغادرة الأجواء اللبنانية.

وعقب المواجهات الضارية التي وقعت بين المقاومين وقوات العدو في المنطقة الحدودية في جنوب لبنان، أفادت «القناة 12» العبرية بأن «لواء غولاني تلقّى خسائر كبيرة هذا الأسبوع»، بعدما فقد 9 ضباط وجنود. فيما أعلن جيش العدو إصابة 50 جندياً وضابطاً في القتال البرّي في الجنوب خلال الـ 24 ساعة الفائتة فقط. وأعلنت مستشفيات عدة في الكيان استقبال مزيد من الجنود المصابين. وبعدما أظهرت الصور الجوّية قيام قوات العدو بجرف وتفجير وتهديم العديد من المنازل والمنشآت المدنية القريبة من الحدود في القرى والبلدات التي دخلتها قواته، قال مسؤول إسرائيلي لمجلة «فورين بوليسي»، إن الجيش الإسرائيلي «تعمّد تدمير عيتا الشعب وميس الجبل في جنوب لبنان كي لا يستخدم العدوّ (المقاومة) بنيته التحتية». لكن وقائع أمس، سرعان ما أثبتت أن التدمير والهدم لم يجعلا هذه القرى والبلدات آمنة لقواته. حيث وقعت اشتباكات بين المقاومين وقوات العدو، في الأطراف الغربية لبلدة عيتا الشعب، وأُطلقت الصواريخ المضادة للدروع ضد قوات العدو، إضافة الى نيران الرشاشات وقذائف المدفعية والصواريخ، ما أجبرها على التراجع، ثم إرسال الطائرات الحربية لتنفيذ غارات مكثّفة في المكان، إضافة إلى قصف مدفعي واسع.

(الأخبار)

العدو يخشى استكمال المقاومة «تعافيها» الميدانيّ

يرى العدو الإسرائيلي، خلال الأيام الأخيرة، أن من مهامه المُلحّة قطع الطريق على حزب الله من أجل عدم استكمال تعافيه الميداني، إدراكاً منه بأنه كلّما تطوّر هذا الأمر سيؤدي إلى تغيير جذري في المعادلة، وسينعكس ذلك على جبهتي الحدود والعمق الإسرائيلي. وفي هذا الإطار، أعلن رئيس أركان جيش العدو هرتسي هاليفي تصميم جيشه «على مواصلة ضرب حزب الله بأقصى ما يمكن». ولم يخفِ هاليفي أيضاً أن الجيش يسعى إلى تحقيق مفاجآت يومية لحزب الله، وهو موقف ينطوي على أن إسرائيل استنفدت إلى حدّ كبير أهدافها النوعية، وبأنها تحاول إنتاج أهداف جديدة خلال الحرب. كما يكشف ذلك عن قلق المؤسسة الأمنية الإسرائيلية من سيناريو استكمال حزب الله استعادة عافيته العملياتية، والتي تتكامل مع كل يوم. ومن أبرز المؤشرات الدالة على هذا الاتجاه، ما صدر عن «غرفة عمليات المقاومة الإسلامية»، أول من أمس، عن الانتقال إلى مرحلة جديدة وتصاعدية في المواجهة مع العدو، والتي «ستتحدث عنها مجريات وأحداث الأيام القادمة». ويؤكد موقف المقاومة، ومخاوف العدو، أن العدو لم ينجح في توجيه ضربة قاصمة إلى البنى التحتية لقدرات حزب الله، التي يرتكز عليها المسار التصاعدي الجاري. ويعني ذلك أن ما يخشى منه العدو، سيلاقيه في قادم الأيام التي ستكون أشد مما مضى كلما استمرّ العدوان. وحول هذا العنوان تتمحور الكثير من جلسات تقدير الوضع التي تجريها الأجهزة الاستخبارية والعملياتية في كيان العدو. ويبدو أن حزب الله يعمل على أكثر من مسار في هذا المجال، فهو يواصل استكمال عملية النهوض العملياتي، ويواكب ذلك بمساع لفرض معادلات ردّ تتجاوز ما كان العدوّ يقدّره. وبذلك يضع اللبنات الأولى لإحداث توازنات جديدة في مجرى المعركة التي من الواضح أنها ستكون تصاعدية في مواجهة العدوان الإسرائيلي المتواصل.

واشنطن تسعى إلى «ترتيبات» تمنع تعافي المقاومة حتى بعد الحرب

ناقش المحلّلون والخبراء الإسرائيليون، أمس، حول ما إذا كان يصحّ اعتبار استشهاد رئيس المكتب السياسي لحركة «حماس»، يحيى السنوار «ذروة الحرب» التي يجب عندها التوجّه نحو «عملية دبلوماسية». ورأى المحلل السياسي في صحيفة «يديعوت أحرونوت»، ناحوم برنياع، أن «الاستنتاج هو أن هذه هي النقطة الصحيحة لبدء عملية دبلوماسية. ولدى إسرائيل ما يمكن أن تقدّمه، وهو: إنهاء الحرب في كلتا الجبهتين» في لبنان وغزة. كما أن «لديها ما ستحصل عليه: إعادة الأسرى، نزع سلاح غزة، غياب حماس كقوّة عسكرية وسلطوية، ونزع السلاح في جنوب لبنان من حزب الله، واستئناف القرار 1701 واستبدال اليونيفل بقوى أقوى، وتأييد دولي لحقّ إسرائيل في توغّل عسكري في غزة وجنوب لبنان إذا خُرقت الاتفاقيات». وكشف برنياع أنه «يوجد في قيادة الجيش الإسرائيلي تأييد واسع للسعي لإنهاء الحرب. وهي تأخذ في الحسبان أيضاً الثمن الباهظ الذي يجبيه القتال المتواصل بسقوط قتلى وجرحى إسرائيليين يومياً، وبضائقة الجيش في الموارد، وتعلّقه بإمدادات الذخيرة الأميركية». وأشار برنياع إلى أن «القرار موجود بيد شخص واحد: بنيامين نتنياهو“.



وفي موازة ذلك، لا يزال الحراك السياسي الأميركي والغربي يدور ضمن إطار المساعي التي تهدف إلى استكمال ما لم ينجح العدو في تحقيقه في المعادلة الداخلية اللبنانية. ويحاول بلورة صيغة سياسية تهدف إلى ضمان عدم تعافي المقاومة لاحقاً، في مرحلة ما بعد الحرب، واستعادة قدراتها وردعها. في المقابل، لا تزال المقاومة عند ثوابتها التي تهدف إلى إحباط الأهداف السياسية الاستراتيجية للحرب، عبر أكثر من مسار ميداني وسياسي وتنظيمي. وهو أمر بدأت الأطراف تتلمّس معالمه ونتائجه.

(الأخبار)

على الغلاف

«يقظة سيادية» على تصريحات مزعومة نفتها إيران

هوكشتين يعلنها: يجب تعديل القرار 1701

«اليونيفل» تؤكّد للأمم المتحدة: إسرائيل تستهدفنا عمداً

أكّدت رئيسة الوزراء الإيطالية جورجيا ميلوني أنه من «غير المقبول» استهداف قوات الأمم المتحدة المؤقتة في لبنان «اليونيفل». وطالبت في مؤتمر صحافي مع الرئيس نجيب ميقاتي «كل الأطراف بأن تضمن في كل الأوقات سلامة كلّ جندي من هؤلاء الجنود»، و«لذلك أنا على اقتناع بأنه ينبغي تعزيز اليونيفل، وعبر تعزيزها فقط مع الحفاظ على حيادها، سيكون بإمكاننا قلب الصفحة». وأتت زيارة ميلوني، وهي الأولى لمسؤول أجنبي على هذا المستوى منذ العدوان الإسرائيلي في أيلول الماضي، بعد تعرض «اليونيفل» أكثر من مرة لاعتداءات إسرائيلية، ومطالبة كيان الاحتلال قوات الطوارئ بالانسحاب من جنوب لبنان. والتقت ميلوني التي تشارك بلادها بنحو ألف جندي في قوات اليونيفل، رئيس مجلس النواب نبيه بري.

ووصلت ميلوني إلى بيروت بينما كان المتحدّث باسم قوات الأمم المتحدة في لبنان، أندريا تيننتي، يؤكد أن «استهداف الجيش الإسرائيلي لقوات اليونيفل كان متعمّداً على عكس ما يقوله المسؤولون الإسرائيليون». وأشار في إفادة لصحافيي الأمم المتحدة في جنيف إلى أن «إسرائيل استهدفت اليونيفل عدة مرات، من بينها 5 مرات متعمّدة»، مشيراً إلى «تعرض برج المراقبة في الناقورة لاستهداف مباشر أدى إلى إصابة اثنين من قوات حفظ السلام، كما استهدفوا نظام الاتصالات والكاميرات، ودخلوا إلى واحد من مقار اليونيفل قبل أيام، ومكثوا فيه لمدة 45 دقيقة». وشدّد على «أن كل هذه الهجمات متعمّدة، وتُعد خرقاً، ليس للقرار الدولي الرقم 1701 فحسب، إنما أيضاً للقوانين الدولية». وأوضح أن عناصر قوات حفظ السلام يقضون ساعات طويلة في الملاجئ بسبب القصف المستمر.

(الأخبار)

قال المبعوث الرئاسي الأميركي عاموس هوكشتين إن القرار 1701 هو ركيزة أي حل، يضمن وقفاً دائماً لإطلاق النار بين لبنان وإسرائيل. لكنه قال بوضوح إن هناك حاجة إلى تعديلات وإضافات «من أجل ضمان تطبيق القرار». وأعلن هوكشتين أنه على تواصل مع سياسيين لبنانيين، وأنه ينوي زيارة لبنان «في وقت قريب جداً". ورفض تقديم أي ضمانات بما خصّ وقف العدو لقصف العاصمة والضاحية الجنوبية، وقال إنه لم يتحدث عن هذا الأمر.

كلام هوكشتين جاء في مقابلة مع قناة «الجديد» مساء أمس، في وقت كانت بيروت تشهد «مسرحية سيادية» قائمة على معلومات غير دقيقة نشرتها صحيفة «لوفيغارو» الفرنسية الداعمة للحرب الإسرائيلية على غزة ولبنان، إذ نشرت تصريحات بطريقة غير دقيقة لرئيس مجلس النواب الإيراني محمد باقر قاليباف، ما أدّى إلى ردود فعل غاضبة في بيروت. لكن تبيّن أن ما فعلته الصحيفة الفرنسية اليمينية، لا يختلف عن «رسائل التهديد» التي تصل إلى اللبنانيين حول ضرورة إخلاء منازلهم، ليتبين لاحقاً أن من يقف خلف هذه الرسائل ليسوا سوى لبنانيين وبعض العناصر الذين يعملون في خدمة «برنامج إثارة الذعر» الذي يقوده العدو ضد المدنيين في لبنان، والذي يشارك فيه ساسة من أنصار الولايات المتحدة يحرّضون أيضاً على النازحين في أماكن تواجدهم الحالية.

تهديدات بلغة دبلوماسية

وإلى جانب تبنّي الإدارة الأميركية لأهداف الحرب الإسرائيلية على لبنان، فإن «صاحب الخدع الكبيرة» هوكشتين، عمد إلى تقديم الأهداف بلغة دبلوماسية خادعة. وهو شرح المطالب الإسرائيلية على طريقته، وبعدما أكثر من التعبير عن عواطفه وحبه للبنان، قال إن على اللبنانيين أن يجتمعوا لانتخاب رئيس جديد، وتشكيل حكومة يكون رئيسها قادراً على مواجهة الفساد وضمان قيام سلطة الدولة في كل الأماكن. وأضاف أن الولايات المتحدة تتطلع إلى حكم جديد «يقدر على ضمان تنفيذ كامل للقرارين 1701 و1559 بصورة كاملة، وحصر السلاح بيد الجيش اللبناني فقط. وتحدّث هوكشتين عن أن المساعي تستهدف وقف إطلاق النار، ولكنها تركّز «على سبل ضمان وقف إطلاق النار، واتخاذ لبنان الخطوات التي تمنع تحول جنوب لبنان إلى مصدر تهديد لإسرائيل». وكرّر هوكشتين كل ما يقوله عادة عن استعداد بلاده للوقوف إلى جانب لبنان، وأن تشكيل حكم جديد يعمل بطريقة مختلفة «سيساعد على استعادة ثقة المجتمع الدولي لتقديم الدعم».

وعاد هوكشتين للحديث عن القرار 1701 قائلاً إنه «يجب أن تكون هناك تعديلات وإضافات عليه، للتثبت من تطبيقه، وإن الأمر يتم من خلال مراجعة الأخطاء التي قامت سابقاً وسمحت لإسرائيل كما لحزب الله بخرق القرار». وقال رداً على سؤال حول دعم أميركا لترشيح العماد جوزيف عون لرئاسة الجمهورية إن «الأمر منوط باللبنانيين من خلال مجلس النواب، وإنه يجب انتخاب رئيس يوافق عليه جميع اللبنانيين». وعن فكرة الضمانات بما خص حجم العدوان الإسرائيلي قال هوكشتين: "إن واشنطن تتطلع إلى وقف كامل للحرب، وهي مسرورة بأن القصف على بيروت قد خفّ في الفترة الأخيرة». لكنه دعا إلى «التوصل سريعاً إلى اتفاقيات على آليات لضمان تطبيق كامل للقرارين 1701 و 1559».

من جانبه، قال السفير المصري في لبنان علاء موسى إن هناك اتصالات جارية على أكثر من صعيد من أجل ضمان وقف إطلاق النار في لبنان. وأشار إلى أن الاتصالات جارية الآن، وأن هناك جهوداً قائمة على أن يتم توجيهها في لقاء يُعقد في الأردن أو مصر أو السعودية، وأن هناك تنسيقاً مع الأردن يقوم به رئيس الحكومة نجيب ميقاتي.

قصة قاليباف

في غضون ذلك، شهدت بيروت أمس حركة سياسية ودبلوماسية بسبب «موقِف مزعوم» لرئيس مجلس النواب الإيراني. فقد أعلن الرئيس ميقاتي أنه طلب مِن وزير الخارجية عبدالله بو حبيب استدعاء القائم بأعمال السفارة الإيرانية في بيروت، والاستفسار منه عن موقِف قاليباف الذي نشرته «لوفيغارو» الفرنسية ونسبت إليه قوله إن «طهران مستعدةٌ للتفاوض مع فرنسا بشأن تطبيق قرار مجلس الأمن الدولي الرقم 1701». وقد أصدر ميقاتي بياناً أعرب فيه عن «استغرابه من هذا الموقف الذي يشكّل تدخلاً فاضحاً في الشأن اللبناني، ومحاولة لتكريس وصاية مرفوضة على لبنان". وأضاف بيان مكتب ميقاتي: "كنا أبلغنا وزير خارجية إيران ورئيس مجلس الشورى خلال زيارتيهما للبنان أخيراً بضرورة تفهم الوضع اللبناني، خصوصاً أن لبنان يتعرض لعدوان إسرائيلي غير مسبوق".

وفي وقت لاحق على بيان ميقاتي، صدر عن البرلمان الإيراني، نفي لما نُسب إلى رئيسه عن التفاوض مع فرنسا بشأن لبنان، وأكد في بيان نشرته وكالات الأنباء الإيرانية أن «ما نُسب إلى رئيس البرلمان الإيراني، من قِبل بعض وسائل الإعلام غير صحيح تماماً".

لكن، وكما جرت العادة من قبل «السياديين العاملين فعلياً في خدمة الولايات المتحدة»، فقد بادر هؤلاء إلى «الاحتفاء» بموقف ميقاتي، واعتبروه "خطوة أولى على طريق تحرير لبنان الرسمي من الوصاية الإيرانية". وطبعاً، لم يفكر هؤلاء، ولن يعملوا على ذلك أصلاً، للتأكد من مقال الصحيفة الفرنسية، حيث ظهر بوضوح أن العبارة المنسوبة إلى قاليباف إنما تعود إلى محرر المقابلة، وليس إلى الشخصية الإيرانية.

(الأخبار)



(أف ب)

قائد الجيش... لِمَ كل هذا التوتر؟

رغمَ الدعم اللامحدود الذي يحظى به قائد الجيش العماد جوزف عون، كعربون «وفاء» أميركي في ظل الحرب الإسرائيلية ضد لبنان، وفي عزّ الحملة التي تقودها جهات داخلية لتتويجه رئيساً للجمهورية تحت النار، يُلاحظ أن «القائد» متوتر جداً هذه الفترة كما يُنقل عنه، وقد بدأ «فرض إجراءات استثنائية ونشر قوات خاصة في تلة اليرزة التي تضم وزارة الدفاع وقيادة الجيش»، فضلاً عن حركة تفتيش غير مسبوقة في محيط المنطقة.





كيف يعلّق السياديون على الآتي؟

الانتفاضة التي قام بها «سياديون من أنصار أميركا» على كلام منسوب إلى رئيس مجلس النواب الإيراني محمد باقر قاليباف، لا يمكن انتظارها من الفريق نفسه إزاء ما تقوم به الولايات المتحدة وعواصم أخرى في لبنان. وللتوضيح ثمة أسئلة برسم هؤلاء منها:

في لبنان، لجنة «خماسية» تضم سفراء عرباً وأجانب يصولون ويجولون على القوى السياسية لمناقشة الملف اللبناني من داخل لبنان ويرفعون تقاريرهم إلى عواصمهم، ثم يعودون إلى بيروت ويجتمعون معكم تحديداً ليحملوا إليكم أسماء مرشحين لرئاسة الجمهورية وتحديد مواصفاته وجدول أعماله!

في لبنان مطاران: واحد في حامات لا تتوقف الطائرات الأميركية عن الهبوط فيه والإقلاع منه من دون معرفة ماذا تحمِل معها ذهاباً وإياباً، وآخر في بيروت يدخله الملحق العسكري في السفارة الأميركية ويجول فيه بحجة التأكد من عدم وجود أسلحة ثم يفرض على الجيش اللبناني إجراءات تفتيش استثنائية.

في لبنان، يجول السفراء والمسؤولون ويهددون ويتوعدون وينقلون رسائل تحذير، ويصرحون يومياً عن القرار 1701 ويطرحون آليات لتنفيذه أو تعديلات عليه، ويحرّضون على حزب لبناني تملك كتلته النيابية بحسب نتائج الانتخابات أكثرية الأصوات، حيث إن نائباً واحداً فيها حصل على ما يقارب 49 ألف صوت.

في لبنان حكومة تقيل وزيراً فيها لأن دولة أخرى امتعضت من رأيه في أحداث المنطقة.

في لبنان، فريق أمني أميركي يضمّ 15 ضابطاً من وكالة الاستخبارات المركزي (CIA)، مهمته التحريض والتجسس على فريق لبناني والمشاركة في عمليات اغتيال.

في لبنان، يخرج المبعوث الأميركي عاموس هوكشتين عشرات المرات ليتحدث في الإعلام (آخر إطلالاته أمس) عن آلية تنفيذ القرار 1701 وانتخاب رئيس للجمهورية وتأليف حكومة.

في لبنان تهرّب السفارة الأميركية جزار معتقل الخيام العميل عامر الفاخوري إلى خارج لبنان، وترحّل السلطات الأمنية الصحافي الإسرائيلي يهشوع تارتاكوفسكي الذي اعتُقل في بيروت بتهمة التجسس بضغط من الأميركيين، ويُطلق سراح رئيس مصلحة الأمن والسلامة في مرفأ بيروت محمد زياد العوف، ويغادر لبنان إلى الولايات المتحدة بضغط من واشنطن، ويضطر القضاء إلى إطلاق سراح باقي الموقوفين كي لا يظهر فداحة الانصياع القضائي للخارج، علماً أن الموظفين ظلوا محتجزين لفترة طويلة من دون وجه حق.

في لبنان، تستدعي السفيرة الأميركية جوقة «السياديين» وتطلب منهم أن يتحضروا لمرحلة ما بعد حزب الله وتطلب منهم الالتزام ببرنامج سياسي وإعلامي محدد لمواكبة المرحلة.

في لبنان، رئيس حكومة يتصل بقائد الجيش لينقل طلب وزير الأشغال بفتح طريق المصنع، فيجيب القائد بأن السفيرة الأميركية تمنعنا، ثم يُغلَق الخط!

ميقاتي ـ قاليباف: لبنان وحده المُفاوض لا إيران

نقولا ناصيف

لو لم يقل رئيس البرلمان الايراني محمد باقر قاليباف ما نقلته عنه صحيفة «لوفيغارو» الفرنسية في عدد امس، لاضطر رئيس الحكومة نجيب ميقاتي الى كظم امتعاضه وغضبه من اللقاء الذي جمعه به السبت المنصرم (10 تشرين الاول) بعد ستة ايام على استقباله وزير الخارجية عباس عراقجي. كلا الاجتماعيْن كانا سيئين للغاية. سمع من الرجلين ما لم يُرد ان يسمعه. اسرّ في ما بعد الى رئيس البرلمان نبيه برّي كما الى الرئيس السابق للحزب التقدمي الاشتراكي وليد جنبلاط ما ادليا به في السرايا. لم يَخفَ ردّ فعل جنبلاط غداة زيارة عراقجي وانزعاجه هو الآخر، ومناداته من ثم بفصل جبهة الجنوب عن جبهة غزة.

في زيارتيْ المسؤوليْن الايرانييْن، اصغى ميقاتي الى الكلام نفسه. بينما حكى عراقجي بفجاجة، ظهر قاليباف اكثر مرونة. لم يكن عبوس رئيس الحكومة طوال الاجتماع الاول ووقوفه فجأة ايذاناً بانتهاء استقباله عراقجي سوى دليل على انه لم يعد يريد سماع المزيد. مما قاله الوزير الايراني:

. على لبنان ان يصمد بعد.

. على الحكومة اللبنانية دعم المقاومة ومساعدتها. لبنان من دون مقاومة لن يبقى له اي دور في المجتمع الدولي.

. على الحكومة اللبنانية تعميق تعاونها مع ايران في المرحلة الحالية والتعويل عليها.

. كان على الحكومة اللبنانية الطلب من سفارات الخارج فتح سجل تقبّل التعازي بالامين العام السابق لحزب الله السيد حسن نصرالله، وان تقود حملة ديبلوماسية منددة باغتياله.

المهم الذي لم يأتِ على ذكره في الاجتماع، ثم ادلى به امام وسائل الاعلام كان تمسّك ايران بربط جبهة الجنوب بجبهة غزة.

ما قاله قاليباف تكرار لعراقجي خصوصاً انهما اخذا على عاتقيْهما دونما تكليف، كل على حدة، اطلاق حملة ديبلوماسية لدعم لبنان في المحافل الدولية على الطريقة الايرانية: الاول لدى منظمة المؤتمر الاسلامي، والثاني في مؤتمر رؤساء البرلمانات الدولية في جنيف.

اما ما لم يقله قاليباف في بيروت، فقد أفصح عنه لمراسل «فيغارو» بابداء استعداد حكومته التفاوض مع فرنسا على اجراءات تطبيق القرار 1701، ولم تكن انقضت ايام على زيارته بيروت داعياً المسؤولين اللبنانيين، كما عراقجي من قبله، الى عدم استعجالهم تطبيقه قبل جلاء وقائع الارض في ضوء العمليات العسكرية.

بحسب الصحيفة الفرنسية، قدّم قاليباف نفسه للبنانيين في 12 تشرين الاول على نحو استعراضي بأن قاد بنفسه طائرته. تحدثت عنه انه الرجل الثالث في «النظام الديني الايراني»، قائد سابق لطائرة فانتوم في الحرب الايرانية - العراقية ومحافظ سابق لطهران والقائد السابق للقوات الجوية التابعة للحرس الثوري. اما ما نقله عنه مراسلها من جنيف، مبرّراً مطالبته بوقف سريع ومتاح للنار في جنوب لبنان، فاعتقاده ان استمرار الحرب الحالية في لبنان يصبّ في مصلحة اسرائيل خلافاً لما حدث في حرب تموز 2006، بعد 33 يوماً، بأن كان استمرارها وقتذاك لمصلحة حزب الله، كي يقول من ثم ان حكومته مستعدة للتفاوض مع فرنسا على اجراءات تطبيق القرار 1701.

اربع ملاحظات حيال ما توخاه كلام قاليباف:

اولى، توقيت تصريحه في مرحلة يصرّ لبنان الرسمي على الظهور امام المجتمع الدولي - خلافاً للمعتاد عليه معه - انه ذو موقف موحد سواء بانضمامه الى البيان الاميركي - الفرنسي في نيويورك (26 ايلول) او البيان الثلاثي (2 تشرين الاول) الصادر عن برّي وميقاتي وجنبلاط بعد ملاقاته بترحيب وطني واسع بالمطالبة بوقف فوري للنار، والذهاب الى مباشرة تطبيق القرار 1701 وارسال الجيش اللبناني الى الجنوب. اذا كلام قاليباف - غير ذي صفة في الاصل وغير معني بمندرجات القرار وغير مكلف اي دور فيه - يضع لبنان في موقع الدولة العاجزة عن اتخاذ قرار او التفاوض، ويتصرّف على انه هو المؤهل التحدّث عن حزب الله وباسمه - وهو حق ربما لما تمثله ايران من مرجعية دينية وسياسية للحزب - لاتخاذ قرار بوقف النار والضمانات الملازمة لتنفيذه.

ثانية، ليست ايران معنية بالتفاوض على تطبيق القرار 1701 ولا فرنسا رغم انها احدى الدول الخمس الدائمة العضوية في مجلس الامن وتملك حق الفيتو ناهيك بحسب «فيغارو» أنها تضطلع بدور الوسيط بين اسرائيل وحزب الله. مذ صدر القرار اضحى في عهدة مرجعيات ثلاث هي المعنية وحدها بتطبيقه: مجلس الامن صاحب اختصاص الاصدار والمعني بتفويض القوة الدولية المشاركة في تطبيق احكامه، اسرائيل ولبنان الدولتان المكلفتان التزام تنفيذه.

ثالثة، ان الضمانات المفترض تلازمها مع اي وقف للنار عندما يحين اوانه، لا تحتاج الى دور لايران وليست معنية بتوفير اي تعهدات لاستمراره والمحافظة عليه على نحو ما هو منوط بالحكومة اللبنانية، المكلفة وحدها تنفيذ قرار مجلس الامن. ضمانات التنفيذ هذه متبادلة، اسرائيلية ولبنانية في آن وفقط.

رابعة، ما لا يفصح عنه حزب الله، وهو ان اي وقف للنار في الوقت الحاضر يستعيد النتائج التي انتهت اليها حرب 2006 بانسحاب اسرائيل الى وراء الحدود الدولية وانسحاب مقاتليه الى شمال الليطاني، بحيث فُسرّت البقعة الممتدة بين شمال نهر الليطاني والخط الازرق على انها اكثر من حزام عازل كي تُحسب عملياً منطقة فصل بين اسرائيل وحزب الله تتيح لهما في ما بعد العودة الى المواجهة، كما تكرّس توازن الامر الواقع. ذلك ما يحدث الآن. بانتهاء حرب تموز 2006 أثمن ما اعتنى به حزب الله ليس تسليمه بالانسحاب الى شمال نهر الليطاني، بل تمكّنه في اقل من عقدين من الزمن من اعادة بناء قدراته العسكرية ومراتبه القيادية وتدريب قواعده وإثقال اسلحته بما لم تخض به حرب تموز. هو مغزى ما قاله قاليباف للصحيفة الفرنسية، ملمحاً الى رغبته في رؤية وقف للنار في اسرع وقت يوقف تدحرج حرب تدمير الآلة العسكرية كلها لحليفه حزب الله، كي يتيح له لاحقاً اعادة بنائها رغم الخسائر الجسيمة غير المسبوقة والصعبة التعويض المتوالية باغتيال عقول عسكرية مجرّبة ومتمرّسة وقادة ميدانيين كما بتغييب المرجعية التي مثلتها الهالة الاستثنائية لأمينه العام الراحل.

بينما تعمل اسرائيل بضراوة ووحشية غير مشروطتين على ان تكون هذه آخر حروبها العسكرية مع لبنان بالتزامن مع هدفها تصفية الماكنة العسكرية لحزب الله، تريدها ايران واحدة في سلسلة الحروب العقائدية من اجل القضية.

كلمة الى القمّامين وأخرى الى الشرفاء الصامدين

محمد وسام المرتضى *

قُلْ للقمّامين الذين يحومون ويحومون منتظرين سقوط المقاومة لينهشوا لحمها ويستضعفوا بيئتها ويفتتحوا تركة موروثها السياسي ويعيدوا الوطن إلى الزمن الإسرائيلي:

«ويل لكم أيها القادة العميان» (متى 23: 16)إنّكم تعيشون أضغاث أحلام وتتهافتون على اقتسام أوهام، لكنكم ستصعقون قريباً بمشهد النصر المحتوم. ساعتئذاك ترون أنتم والذين «استعجلوا» أو تآمروا أو راهنوا أو تعاملوا... أي منقلبٍ تنقلبون.

«أيها الجُهال والعميان» (متى 23 : 17) لبنان سينتصر وسيهزم العدوان الذي عليه تراهنون... والنصر سيكون لكلّ اللبنانيين - إلاّ من أقصى نفسه - ثمرةً لصمودهم وتضحياتهم ووحدتهم الوطنية وثبات جيشهم على عقيدته، وحكمة قيادتهم السياسية، وبسالة مقاومتهم في نزالها الأسطوري الذي يرعب العدوّ وخبراءه العسكريين وينزل به كل يوم أفدح الخسائر في الجنود والعتاد ويمنعه ان يدنّس أرضنا قيد أنملة.

أمّا كلّ قمّام منكم فسيذهب جفاءً مع رهاناته في مهبّ ريح النصر والحقّ والعزّة والكرامة التي تعصف في قلوب اللبنانيين المحتسبين الصابرين المقاومين رغماً عن أنوف الصهاينة وسائر الكارهين.

نعم لبنان يقاوم أيّها القمّامون، وسينتصر... هذا أثبته التاريخ ويبشّر به الميدان الهادر من صمود المقاومين وغلبتهم، فاحسبوها «صحّ» ولو لمرةٍ واحدة، وكونوا شركاء النصر لا الهزيمة، كونوا مع أبناء وطنكم ومع المظلومين في فلسطين ضدّ أعداء الإنسانية، واعلموا أنّكم مهما قامرتم بالوحدة الوطنية ستبقون إخوتنا في الوطن الذي يضمّنا وإياكم إلى مصيرٍ واحد، اليوم وغدًا، حين تنقشع عن عيونكم غشاوات الرهاناتً الفاشلة.

وإليكم أيّها اللبنانيون الشرفاء الصامدون من كلّ المذاهب الايمانية والمشارب السياسية نقول: وطننا يريد منّا جميعاً أن نقف ضدّ العدوان، أن ندعم المقاومة التي تتصدّى له، أن نؤيّد جهود دولة الرئيس نبيه بري الذي يقود معركة دبلوماسية لا تقلّ في دقّتها وضراوتها عمّا يخوضه إخواننا المقاومون.

أيّها اللبنانيون: لبنان وقف الله، ومقاومته هي الدرع الحصين، وعلى أقدام جنوبه، وجنوبيّيه، سيتحطم جبروت أعداء الإنسانية، وبشّر الصابرين.

* وزير الثقافة اللبناني

على الغلاف

في أسباب الأزمة واستعصائها

سعد الله مزرعاني *

يمر لبنان، الآن، بأزمة جديدة! وما أكثر الأزمات التي تعصف به منذ نشوئه قبل حوالى قرن، أو منذ استقلاله السياسي قبل حوالى ثمانية عقود. الأزمات المشار إليها هنا، هي أكبر وأخطر من مشكلات من نوع عدم انتخاب رئيس للبلاد، أو العجز عن تشكيل حكومة جديدة، أو تعذر ملء الشغور في وظائف أساسية، إدارية ومالية وأمنية وعسكرية...

على كل حال، فإن ما تقدم ذكره يدخل في خانة النتائج لا الأسباب. إننا هنا نتحدث عن أزمات كبيرة وشاملة، غالباً ما رافقها توتر سياسي وأمني واجتماعي. وهي قد تمتد لسنوات طويلة دون أن تجد لها حلولاً أو تسويات حاسمة. أمّا الأسباب، فتتمثّل في افتقار النظام السياسي اللبناني إلى الحد الأدنى من الشروط المرجعية الضرورية، في حقلي التشريع والمؤسسات، للتعامل مع الأزمات، بما يؤدي إلى حلها أو احتوائها ومنع تفاقمها: وفقاً لآليات راسخة تفرز، شرعياً وديموقراطياً، الأكثريات المقررة والمعترف بها. ما يحصل هو أن الأزمات تعطّل المؤسسات في وظيفتيها االتشريعية والتنفيذية: ليقع الفراغ والخواء بشكل كامل، ومعهما الشلل والفشل والعجز والخسائر والمخاطر من كل نوع. هذا ما نختبر إحدى حالاته المتداخلة والمتمادية منذ اندلاع الأزمة الاقتصادية الطاحنة قبل خمس سنوات، إلى المحطة الجديدة من العدوان الصهيوني المستمر على الشعبين اللبناني والفلسطيني، منذ أكثر من سنة، إلى اليوم.

تمسك الطبقة البورجوازية الكبرى المتشكلة وفقاً لفرز طبقي في المضمون وطائفي في الشكل (أداة لبلورة وإقامة سلطتها وإدامة سيطرتها) بزمام النظام السياسي عبر «كوتا» تقاسم ما زالت قائمة منذ الاستقلال إلى اليوم. وهي صيغة تبنتها ورعتها دول المتروبول في مستعمراتها لإضعاف وتوهين تلك المستعمرات بالانقسامات والعصبيات المتوارثة، ما يمكن من إدامة السيطرة عليها في نطاق خطة تقسيم عمل دولية تبقيها تابعة ومرتهنة ومنهوبة لمصلحة قوى المركز المسيطر على مفاصل حركة الإنتاج والتجارة والمواد الأولية والأسواق وخطوط النقل... إلى التشريعات والعلاقات والمنظومات السياسية والدولية والعسكرية الخادمة لكل ذلك. وهي تتمسك بهذه «الصيغة»، بإصرار وعناد، رغم النزاعات على السلطة وتوازناتها، وعلى الحصص وأحجامها، ورغم تباين الولاءات والمرجعيات الخارجية وصراعاتها على النفوذ في لبنان والإقليم، وحتى في العالم. وهي تتمسك بها، خصوصاً، رغم الأزمات الكبيرة والمتكررة التي اتخذت أحياناً صيغة حروب أهلية مدمرة ومهددة لوحدة البلد ولسيادته وحتى لوجوده.

اقترن التمسك بالصيغة المذكورة، من قبل كل أطرافها القدماء والجدد، بالرفض المطلق والدائم لكل محاولات تطويرها أو تعديلها، أو حتى إجراء بعض الإصلاحات البسيطة في جنباتها. وفي خدمة ذلك تمّت صياغة إيديولوجيا زائفة تقوم على أن تلك «الصيغة» هي أساس «معجزة النجاح» اللبناني، وأنها حقيقة تأسيسية في البنية الاجتماعية اللبنانية، وأن تبديلها أو تعديلها يهدّد الكيان اللبناني بالزوال.

ليس هذا فقط، بل أنه جرى دفع الخلل إلى حدوده القصوى. فالنظام الذي رعى المنتدب الفرنسي إرساءه على مرتكز الغلبة، أو التمييز و«الامتيازات» في الإمساك بمفاصل القرار الوطني الرئيسية، انتقل، تحت وطأة تبدل الظروف والتوازنات، إلى «المناصفة» المعطّلة: بتنامي الدويلات على حساب الدولة، وبتمليك المحاصصين حق «النقض» الموزع على الكيانات الطائفية وفقاً لـ«ميثاق وطني» غير مكتوب، ولكنه فوق الدستور نفسه.

مناسبة هذا الكلام الآن وقوع الذكرى السنوية لانتفاضة 17 تشرين الأول، والأزمة الطاحنة التي ولّدت تلك الانتفاضة وكيف جرى إجهاضها من قبل سلطة المحاصصة وأخطاء محركي الانتفاضة نفسها. هذا، خصوصاً، إلى دور واشنطن التي حاولت توظيف كل إمكاناتها لإدراج الانتفاضة في خطط استهدافها للمقاومة ضد العدو الصهيوني. والمناسبة، الأهم والأخطر حالياً، هي ما يدور من سجال بشأن الموقف من الصراع الدائر في المنطقة منذ أكثر من سنة. وهو صراع يكاد لبنان يصبح ساحته الأساسية، أمّا نتائجه، فتطاول، ولو بنسب متباينة، كل اللبنانيين من أقصى الجنوب إلى أقصى الشمال، فضلاً عن الوضع الإقليمي برمته بسبب الطابع الشامل للصراع بما هو، مرة جديدة، صراع في كل المنطقة وعليها. وهو صراع يحفّزه، بالدرجة الأولى، مشروع السيطرة الخارجية عليها والذي تقوده الولايات المتحدة الأميركية لمصلحة الكيان الصهيوني بالدرجة الأولى.

الحرب عمّقت الأزمة الداخلية. تطبيق «الطائف»، بشكل مشوه، من قبل أوصياء الخارج وفئويي الداخل، حوَّل تلك التسوية إلى مصدر جديد للخلل والفشل والإفلاس وتعزيز الطائفية وإلغاء القدرة على إدارة السلطة إلا بمعجزة بتوافق الداخل والخارج، ما أفسح لمزيد من الاختلال والأزمات في الحقول كافة.

كان هذا هو الوضع بالنسبة إلى معركة الإصلاح. ماذا عن معركة التحرر الباهرة، والمثيرة للجدل، في مواجهة العدوّين الاستعماري والصهيوني؟ هذا ما سنتناوله في المقالة القادمة.

* كاتب وسياسي لبناني

عن مستقبل حزب الله، ومستقبل لبنان

أسعد أبو خليل *



(علي حشيشو)

أصعبُ الكتابة تلك التي تواكبُ المراحل التي يتسارع فيها التاريخ. كل يوم يمرُّ يحملُ معه عوامل وتطوّرات ستؤثّر على نظرتنا إلى تاريخنا وعلى مستقبلنا بصورة لا ندري بها بعد. إسرائيل تعرضت لزلزال كبير في «طوفان الأقصى» وأدركت أنّ هؤلاء العرب المتخلّفين لا يخافون منها كما كانوا، أو كما كانت الأنظمة وجيوشها. لم يعد هؤلاء العرب كما ألِفَتهم إسرائيل في الخمسينيّات والستينيّات. قلّت العنتريّات وزادت البطولات. هناك مرحلة من النضال العربي ضد إسرائيل لم يتّسم إلا بالشعر (الرديء). أنبتَ الصراع العربي الإسرائيلي حركات مقاومات جديدة، وعناصرها يتشوّقون لمواجهة العدو أكثر ممّا يتشوقون لأيام السلم.

تسرّبت أخيراً في وسائل الإعلام الإسرائيلية تسجيلات جديدة لاجتماعات حكومة العدو في عهد غولدا مائير. وفي واحدة من التسجيلات تقول إنّ اليوم الذي يزول فيه عنصر الخوف العربي من إسرائيل ستكون في ذلك «نهايتنا». لم يعد المقاومون يخافون من إسرائيل، لا، بل العكس هو الصحيح. المقاتل الإسرائيلي يتحاشى مواجهة مقاتلي «حماس» أو الحزب بالطرق شتّى وعبر قصف وحشي لم يشهده العالم منذ الحرب العالمية الثانية. والإفراط في القصف الوحشي هو محاولة لتطويع العدو تمهيداً لسحقه. إنّ هذا القصف الوحشي بهذه الصورة في فلسطين ولبنان وسوريا واليمن دليل إفلاس سياسي وعسكري. لا يملكون في جعبتهم غير الوحشيّة. ليس من مشروع منطقي لمستقبل الصهيونيّة على أرض فلسطين. الافتراض التاريخي للصهيونية كان أنّ من شأن الوقت أن يعالج مشكلات إسرائيل وتزول المقاومة الفلسطينيّة من الوجود. تعلمُ إسرائيل أن لديها فرصة تاريخية بوجود جو بايدن في البيت الأبيض (أو بالأحرى بغياب جو بايدن عن البيت الأبيض) وذلك لتفعل ما تشاء وتستعمل من العنف العشوائي ما تشاء. هذه فرصتها التاريخية كي ترفع وتيرة العنف الجماعي الذي تمارسه ضد العرب. وهي تستفيد أيضاً من حلفها مع نظامَيْن عربيَّين، السعوديّة والإمارات، اللّذين يسيطران على مقدّرات الجامعة العربية (النائمة على مدى سنة كاملة). هذه الفرصة لإسرائيل لن تتكرّر من حيث السياق العالمي، أي أميركا مع الحلف العربي - أي السعودية والإمارات. هي تريد أن تستنفد كل وسائل العنف الوحشي المفرط من

> على أعداء حزب الله أن يتمنّوا أن ينتصر في هذه الحرب لأنّ عودته منتصراً ظافراً سيعود عليهم بالخير والنفع، وعلى الوطن بالأمان الذي نعم به بعد انتصار تموز

أجل كسر إرادة المقاومة في المنطقة. لكن في الصراع بين الشعوب هناك استحالة للعودة إلى نقطة سابقة. مهما حاولت إسرائيل، لن تعيد التاريخ القهقرى، إلى زمن الـ67 حيث كانت صورة الإسرائيلي تخيف العربي حتى في مخدعه. وزيادة منسوب العنف الجماعي له مردود متناقص لأنك لا تستطيع أن تتخطّاه إلا عبر المزيد من التدمير والقتل والإرهاب والإبادة ومن دون زيادة في الفوائد السياسيّة. ماذا يمكن لإسرائيل أن تفعل ولم تفعله بعد؟ هي تقول علناً إنّها تريد إجراء تطهير عِرقي في غزة، وتريد إجراء تطهير عِرقي في الشريط الحدودي اللبناني على أساس طائفي.

الحزب تلقّى ضربات لم يتوقعها. نستطيع أن نناقش بأنه كان عليه أن يتوقعها، لكن ما في اليد حيلة. ما حصل قد حصل والحزب أمامه أكبر تحدٍّ في تاريخه منذ التأسيس. هو إمّا أن يصعد وينمو أو يواجه مصير منظمات الثورة الفلسطينية. لكن الهزيمة ليست خياراً للحزب. هو يعلم أنّ الهزيمة تعني أن كل أعداء الأرض سينقضّون عليه مرّة واحدة. كما أنّ تفلّت عملاء إسرائيل في لبنان (في الإعلام والسياسة والتغيير) يعني أنّه لا يمكن أن يعود إلى الساحة الداخليّة إلا ظافراً. السؤال ليس إذا كان سينهض، ولكن كيف سينهض وبأيّ صورة وعلى أيّ أساس. وكيف يمكن النهوض وإعادة البناء وأنت تخوض أشرس حرب في تاريخك. والحزب يخوض هذه الحرب في الوقت الذي يتلقى فيه الطعنات من الداخل اللبناني، وفي الوقت الذي انسحب فيه الجيش اللبناني من مواقعه في جنوب لبنان بناء على أوامر إسرائيلية (عذراً، فإنّ قيادة الجيش أوضحت أنّ الجيش لم ينسحب بل «أعاد التمركز»)، والفارق بين الانسحاب وإعادة التمركز بناء على أوامر إسرائيلية كبيرٌ جداً ولا يدركه إلا الراسخون في العلاقات الدولية والأمور الإستراتيجية التلفزيونية.

والمطالبة بحصرية السلاح بيد الجيش تتعاظم. يا للعجب العجاب. كيف يمكن للجيش الذي لا يردّ على مصادر النيران الإسرائيلية أن يقوم بدور يفوق الدور الذي تقوم به المقاومة لصدّ عدوان إسرائيل؟ حتى قوات اليونيفيل التي تتعرض للقصف من إسرائيل، يطالبها بعض اللبنانيين بتسلّم زمام الحدود كأنها هي استطاعت أن تحدّ من عدوان إسرائيل في هذه الحرب أو في غيرها. فلتَ العقال. تبخرت تلك الأقوال من 14 آذار أنّ «إسرائيل عدوّ»، أو أنّ المقاومة ستجد أن «الكل مقاومة في لبنان» إذا ما اعتدت إسرائيل على لبنان، أو الذين قالوا، مثل وضاح الصادق، إنّهم سينضوون في صفوف المقاومة لو أنّ إسرائيل اعتدت على لبنان. كل ذلك اختفى. على العكس، كما اشتبهنا منذ البداية، فإنّ كل الذين قالوا «إن إسرائيل هي عدو» كانوا بصراحة كلية يعتنقون الموقف الإسرائيلي ضد لبنان. تستطيع أن تكتب تاريخ لبنان منذ عام 48 بناء على معيار واحد: فريق مع إسرائيل وفريق ضد إسرائيل، في كل المراحل في لبنان. طبعاً كانت هناك مراحل، خصوصاً سنوات سيطرة النظام السوري، عندما لجأ كثيرون إلى التقيّة، فزعم كتائبيّون وقواتيّون أنّهم من داعمي المقاومة كما أنّ رفيق الحريري كان يدعم المقاومة باللفظ في العلن ويطعنها في السرّ في دول الغرب.

على أعداء حزب الله أن يتمنّوا أن ينتصر في هذه الحرب لأنّ عودته منتصراً ظافراً سيعود عليهم بالخير والنفع، وعلى الوطن بالأمان الذي نعِم به بعد انتصار تموز. هم يتمنّون أن ينهزم الحزب أمام إسرائيل، لكن هزيمة الحزب لن تنعكس خيراً عليهم خصوصاً أن القائد التاريخي للحزب غير موجود (وقد نُسب إلى عماد مغنية قولُه في سؤال حول احتمال اغتيال نصرالله، إنّه في هذه الحالة يكونون قد قضَوا على الأكثر عقلانية بيننا). الانتصار على إسرائيل يفيد لبنان فيما الهزيمة ستضرّ بكل لبنان خصوصاً بالذين يربطون مصلحتهم وصعودهم ومناصبهم المأمولة بنجاح إسرائيل العسكري. وهناك استعداء واضح لكل الشيعة من قبل الفريق المرتبط بالمصلحة الإسرائيلية وبالتحالف مع النظامَين السعودي والإماراتي. هؤلاء يريدون اختيار زعماء الشيعة بالنيابة عنهم. وهذا ليس بجديد. حاولت إسرائيل ذلك من قبل في صيف 82 وأتت بأشخاص لم نكن نسمع بهم من قبل. مَن سمع منكم بشوقي العبد الله؟ محطة «العربية» قررت أن تنكش التحقيق في اغتيال رفيق الحريري وأن تنكش أيضاً ملف التدخل العسكري لحزب الله في سوريا، وطبعاً بناء على تصوّرات المعارضة السورية المسلحة واتهاماتها (والتي تبيّن أنّ الكثير منها بات من الأكثر حماسة لإسرائيل في كل العالم العربي). يتسرع كثيرون في لبنان اليوم في الحُكم على نتائج حرب لم تنتهِ بعد، والحربُ، على ما يقال، بخواتيمها. والحلم الإسرائيلي القديم بالسيطرة على كل لبنان، أو جزء من لبنان، تبخّر بعد تجربة المقاومة في التسعينيّات. نستطيع أن نزيل من الحسبان إمكانية أن تقوم إسرائيل باحتلال جزء من أرض لبنان لعلمها بما ستلاقيه من مقاومة. ما ستحاول أن تفعله هو أن تحرق منطقة بكاملها على الشريط الحدودي وعلى أساس طائفي من أجل أن تشعر فيها بالراحة وأنها في مأمن. لكن لن يتسنى لها ذلك. لن تقوم قائمة لأي حركة سياسية في جنوب لبنان تُطمئن إسرائيل على حساب سيادته. إنّ الجنوب بات منذ عام 2000 عنوانَ السيادة في لبنان. ليس من سيادة كما في الجنوب ولن يكون من سيادة أكثر ممّا في الجنوب. إنّ معارك الجنوب ضدّ إسرائيل، وفي مراحل مختلفة، هي المعارك الأكثر سيادية في التاريخ اللبناني المعاصر. ومن أجل ذلك تقوم إسرائيل وأدواتها في لبنان بتعيير السياديّين الحقيقيّين بأنهم إيرانيون أو أجانب؛ وذلك لتقويض العنصر الأساسي في حركتهم.

كل مشكلات لبنان وكل مشكلات الإقليم هي في جانب منها، وجانب أساسي منها، نتاج وجود إسرائيل على حدودنا. هي تتدخل في كل الصراعات العربية والقلاقل والحروب الأهليّة، من المغرب حتى الخليج العربي. أمّا في لبنان، فكان لها دور أساسي في كل مراحل الصراعات والخلافات اللبنانية الداخلية وكانت دائماً في جانب الفريق الذي يفرّط في سيادة لبنان. وكانت دائماً تحارب الفريق الذي كان أكثر حرصاً على سيادة لبنان، ولم يمرّ على لبنان فريق أكثر حرصاً على السيادة كما حركة المقاومة الحالية منذ التسعينيّات.

لبنان سيتغير بعد هذه الحرب. عندما تنتهي لن يكون هو نفسه لأن الحزب لن يكون هو نفسه، خصوصاً بغياب قائده التاريخي. ستكون هناك رغبة قوية للانتقام مِن قَتلِ نصر الله وسيقوم البعض بتصفية الحسابات بناء على الخيانات العالمية التي سُجّلت على مرّ الأشهر الماضية. وصلنا إلى مرحلة تقوم فيها وسائل الإعلام اللبنانية بالتحريض على قصف المدنيين، وبعض وسائل الإعلام، «أم تي في» و«أل بي سي»، ليست إلا ناقلة حرفيّة لكل ما يصدر عن الناطق الإسرائيلي. ويتحمّل وزير الإعلام زياد مكاري مسؤوليات جمّة عمّا يجري في الساحة الإعلامية. هذه ساحة حرب، فحتى في أميركا، كما في الدول التي يتمثّل فيها البعض في الغرب، هناك إجراءات تسري على الإعلام، وهناك رقيب يسمح ولا يسمح. إلا في لبنان فإنّ وزير الإعلام حالياً سمح بحالة التفلّت التي يتسرب العدو منها ومن خلالها.

المشروع الصهيوني سجّلَ نجاحات قصيرة المدى، خصوصاً أنه يقيس النجاح بعدد القتلى والجرحى من العرب، وبعدد المنازل المُدمَّرة. لكن إسرائيل بعد سنة من الإبادة ليست هي، حتى في دول الغرب. راقبوا الردود على أي تغريدة موالية لإسرائيل في أي دولة غربيّة. هناك متحمّسون بِيض وملوّنون في كل دول الغرب. هناك بيض غربيّون يهتفون بحياة نصرالله والسنوار. طبعاً، لا أثر لذلك في لبنان. لبنان منقسم. عند البعض، البطولة معقودة للأمراء والشيوخ في ملاهي لاس فيغاس ومواخيرها. هؤلاء المثال المقتدى. وعند البعض الآخر، البطولة معقودة للذين قاتلوا ضد احتلال إسرائيل وعدوانها. كيف يمكن لهذا الوطن أن يتوحّد؟

*كاتب عربي

حسابه على «اكس»: @asadabukhalil

انتصار المقاومة في الجنوب إنقاذٌ للداخل اللبناني

بدر الحاج *

كل احتلال عبر التاريخ كان ينتهي، كما بدأ، بالقوّة. حروب الجزائر وفييتنام وأفغانستان خير أمثلة. الاحتلال الإسرائيلي للبنان عام 1982 خلق مقاومة، أطلقتها في البداية أحزاب وطنية، ثم انطلقت المقاومة الإسلامية التي هزمت العدو مرتين: الأولى بإنجاز التحرير عام 2000، والثانية الهزيمة المدوية في تموز 2006، والتي كانت أطول حرب في تاريخ العدو.

منذ البدء كانت أعداد المقاومين قليلة نسبياً، وكانوا يدركون جيداً مخاطر الطريق التي اختاروها في ظروف غاية في التعقيد والخطورة، وفي أجواء من الإحباط واليأس وبتواجد قوات الاحتلال الإسرائيلية والأطلسية. كانت صفوف المقاومة تضم شباباً تحولوا إلى قادة لاحقاً، من بينهم على سبيل المثال لا الحصر السيّد عباس الموسوي والسيّد حسن نصر الله وعماد مغنية وغيرهم كثيرون. لم يكن أي فرد منهم يتوقّع أن يموت حتف أنفه في فراشه. حملوا دماءهم على أكفّهم وانطلقوا. وما أنجزوه شكّل انقلاباً جذرياً في رؤية قسم كبير من اللبنانيين وإدراكهم لخطورة المشروع الصهيوني على بلادنا.

صحيح أنّ المقاومة حرّرت الأرض عام 2000 وهزمت العدو عام 2006، لكن أهمّ عناصر النصر كانت تلك الأجيال التي تدرّبت وتثقّفت ودفعت ضريبة الدم لتحقيق تلك الانتصارات.

الاهتمام بالتنظيم وإقامة المؤسّسات والعمل الدؤوب المتواصل خرّج قادة بعضهم استشهد والبعض لا يزال مجهولاً حتى الآن. لا نعرف عنه شيئاً إلا حين يستشهد.

هذا الجيل المقاوم الضخم عدّة وعدداً أدرك بالممارسة أن دولة لبنان لم تحمه سابقاً، ولن تفعل لا حاضراً ولا مستقبلاً. فالأرض مستباحة كلّياً من العدو والدفاع عنها مرفوض كلّياً لدى السلطة الحاكمة التي ادّعت أن «قوة لبنان في ضعفه» وأنّ القرارات الدوليّة تحمينا. رغم كل ذلك، ومن المؤامرات المتواصلة التي حيكت ضدّ هذه الطليعة المقاومة، فقد حقّقت المعجزات وحرّرت لبنان من الاحتلال.

إنجازات التحرير وهزيمة المشروع الصهيوني الأميركي لم يحقّقها شخص واحد البتّة، إنّما جاءت نتيجة عمل جماعي مؤسّساتي منظّم، أفراده مؤمنون بقضية تساوي وجودهم.

بالطبع كانت هناك رموز ألهمت مئات الألوف من المقاتلين والمواطنين، بعض هذه الرموز استشهد في هذه المعركة وغيرها من المعارك. وكان أبرز هذه الرموز السيد حسن نصر الله، الذي كرّر مرات عدة في خطبه أن الأفراد زائلون لا محالة، وأنّ القادة قد يستشهد معظمهم، أمّا المسيرة الجهاديّة، فستستمر رغم استشهادهم ولا مجال إلا في إكمال المسيرة حتى النصر.

على ضوء كلّ ذلك، نحن نواجه اليوم جولة جديدة من الحرب الصهيونية - الأميركية المبدعة في حروب الإبادة الجماعية. يُضاف إلى ذلك حربٌ نفسيّة تستعمل الوسائل كافة، وتحاول عبرها إقناع اللبنانيين بصورة عامة وبيئة المقاومة بصورة خاصة باستحالة النصر. وسبق أن واجهنا منذ عام 1982 وحتى اليوم مثل هذه الحملة بشكل متواصل، وكانت النتيجة الفشل. إن الحرب النفسيّة التي تُشنّ علينا الآن ليست بجديدة، بل هي متوقّعة. فالمرتزقة اللبنانيون كثر، وبعض الأنظمة العربية ترى أن هذه هي الفرصة السانحة لسحق المقاومين. لكن هناك استحالة في الاختراق رغم كل المجازر والتهجير.

بالإيمان الصلب، وبعقيدة قتالية تمّ ترسيخها في صفوف المقاومين عبر الممارسة، يواجه أبطال المقاومة على الحدود الجنوبيّة التفوّق العسكري والتكنولوجي الصهيوني والأطلسي بكل ثبات، ويواصلون حرب الإسناد لغزة.

وبنظرة واقعيّة على ما يجري منذ عام ونيّف في «طوفان الأقصى»، تتأكد لنا صحة ما قاله نتنياهو من أنّ المشروع الصهيوني يخوض حرباً مصيريّة. الموضوع ليس عناد حكّام إسرائيل وتطرّفهم كما يُشاع، ولا خوف نتنياهو من المحاكمة بسبب فساده. الموضوع الأساسي هو أنّ نتنياهو يعجز عن القبول بوقف إطلاق النار، لأنّ مجرّد قبوله يعني ضمناً الفشل واهتزاز أسس المشروع الصهيوني وبداية الهزيمة التدريجية.

وقف إطلاق النار يعني عملياً أنّه ليس هناك قوة على الأرض تستطيع إقناع المستوطن الذي نهب الأرض أنّ مكان وجوده ومستقبله آمن بعد أن شاهد خلال عام ما فعله المقاومون بجيشه ومستوطناته.

هذا هو الجليل الذي اعتبروه درّة المشروع الصهيوني، قد تمّ تهجير معظم مستوطنيه. وبما أنّ الاستيطان هو الدّعامة الأساسيّة للمشروع الصهيوني، فإنّه لأوّل مرّة تهتزّ دعائمه منذ أن وطأ أرض فلسطين أول مستوطن.

هذا الأمر دفع الصهاينة والأميركيين والغرب إلى الهجوم البرّي والجوّي على لبنان. نفوذ الغرب يتراجع في المنطقة رغم وجود القواعد العسكريّة المزروعة فيها، لذلك يغطي الغرب منذ عام ونيّف حرب الإبادة الجماعية في غزة والآن في لبنان.

حتى الآن يبدو أنّ الهجوم البرّي متعثّر والتقدّم بطيء، ولا تزال المقاومة تقصف المستعمرات والقواعد العسكريّة وتُكبّد نخبة العدو الخسائر اليوميّة.

الطموحات الصهيونية - الأميركيّة من هذه الحرب كبيرة، فقد أعلنت الخارجيّة الأميركيّة أنّها بصدد تغيير النظام السياسي في لبنان بواسطة الجيش الإسرائيلي، وسحق حزب الله. وكذلك سبق أن أعلن نتنياهو أنّه بصدد خلق شرق أوسط جديد. لكن في حال تعذّر إنجاز المهمّة بواسطة الجيش الإسرائيلي كما حدث عام 1982، وهذا هو الأرجح، فسيجري تفجير حرب داخل لبنان. فالداخل اللبناني يعجّ بتجّار السياسة والدم، وهم بانتظار الفرصة التي يعتقدون بأنّها سانحة للاستيلاء على السلطة التي ستؤدي إلى سلام دائم مع إسرائيل.

المشهد الحالي يُلخّص بالتالي: لبنانيون يقاتلون دفاعاً عن بلادهم و«لبنانيون» آخرون ينتظرون اقتناص الفرصة للبيع والشراء كعادتهم.

الدم اللبناني الذي يُراق حالياً سيلاحق كل من يتآمر مع العدو ولو بعد مئة عام.

التجارة بالمصير والأوطان ستؤدي بصاحبها إلى التهلكة.

تقع على عاتق المقاومين اللبنانيين مهمّة إنقاذ لبنان مرة أخرى. ومقاومتهم للغزو خلال الأيام المنصرمة دليل على أن زرع السيد نصر الله ورفاقه يعطي ثماره.

نحن أمام معادلتين لا ثالث لهما: إمّا أن يعود جنود العدو أفقياً كما وعد السيّد الشهيد، وهذا ما يحدث الآن. وإمّا أن تدخل بلادنا كلّها في العصر الإسرائيلي، وهذا من المستحيل، لأنّ الحياة عندنا «وقفة عزّ فقط».

* كاتب لبناني

على الغلاف

عن حركة لا تعرف الموت: غزة شاهدةً على توالد «حماس»

غزة - **يوسف فارس**

على غير ما تمنّى العدو واشتهى وروّج طوال عام كامل من الحرب، كانت نهاية قائد حركة "حماس"، يحيى السنوار. فاجأهم هذا الرجل في حياته، وخلال اعتقاله، وعقب الإفراج عنه، وحتى في نهايته. ففي وسائل الإعلام العبرية، دار حديث كثير عن الصورة الأخيرة، ثمّ دار جدل أكبر حول المقطع المصوّر الذي نشره جيش الاحتلال. وخلصت التحقيقات إلى أن جنديَّين هما اللذين سرّبا صورة السنوار وهو مسجًى، ومرتدٍ جعبته العسكرية، قبل أن يجبَر الجيش على نشرها. لكن الخطيئة التي استدعت تحويل الجنديين إلى التحقيق، عادت المؤسسة الأمنية بقرار مركزي منها، لتعيد نشر ما هو أهمّ منها: القائد الذي كان يمكن أن يُخرَج مشهد نهايته بأعلى مستويات الإذلال والاستهزاء، قاومهم حينما كان مصاباً بيده وقدمه، بإلقاء قطعة خشب على الطائرة التي جاءت لتحرّي أمره. طبَّق الرجل مبدأ الرفض والمقاومة، ورفض الاستسلام في أشدّ لحظات عمره حساسية وضعفاً. هكذا، كان ندّاً في حياته ومماته.

لقد شحن السنوار المشاعر بفيضٍ هائل من الحماسة والذهول، وحوّلَ شعور الحزن الحادّ إلى طاقة مقاومة مستدامة، وربّما تتكفّل المشاهد التي سينشرها الإعلام العسكري التابع لـ"كتائب القسام"، في وقت لاحق، للقائد المشتبك الذي يشارك جنوده في الكمائن والمواجهات، بدفق معنويّ آخر، سيَجبر كثيراً من الكسْر الذي تسبَّب به رحيله.

تموت حركات المقاومة وتُهزم الشعوب من خلفها، حين تستسلم وتَقبل الهزيمة، أمّا حينما يُقتل قادتها على هذه الشاكلة، فإن انعكاسات عملية الاغتيال ستكون مغايرة تماماً. ما تقدم، تحدّث عنه المحلّل العسكري لـ"القناة الـ11" العبرية، إليؤور ليفي، بعدما أقرّ بأن الإسرائيليين يواجهون صعوبة في فهم "حماس"، قائلاً: "التوثيق الذي ترونه ليس هو ما تراه حماس أو الجهاد أو حزب الله، إنهم يَرون رجلاً قاتل حتى اللحظة الأخيرة وحتى آخر قطرة من دمه حتى وهو مصاب. لقد أصبح السنوار بالفعل أسطورة وشخصية أكبر بكثير من الشخص نفسه، من الجيد اغتياله، لكن أيّ اغتيال لن يغيّر ذلك حتى الأجيال القادمة".

> **يسيء الجميع فهم حركة «حماس»، ويضخّمون حجم ما أحدثوه فيها من ضرر**

في الاشتباه والالتباس نفسه، وقعت المؤسستان الأمنية والسياسية الإسرائيليتان، المزهوّتان بإنجازهما الذي تمّ بمحض الصدفة. يسيء الجميع فهم حركة "حماس"، ويضخّمون حجم ما أحدثوه فيها من ضرر، والأهمّ قدرتها الدائمة على التعافي وترميم الذات. ويَظهر ذلك حينما يحصر العدو، مثلاً، أزمته في أعداد محدّدة من المقاتلين، ستنتهي مشكلته مع القطاع حينما يتم القضاء عليهم. يتحدّث الاحتلال، مثلاً، عن 5000 مقاتل في شمال وادي غزة، وعن بعض المسؤولين البارزين في "القسام". على أن واقع الحال مغاير تماماً، ليس لجهة الأعداد والمسؤولين الذين يظنّ أنه قتلهم؛ فالواقع أن "حماس" نشأت في أوساط البسطاء، وقدّمت منهجاً دعوياً وحركيّاً انسجم تماماً مع فهم وإدراك السواد الأعظم من المجتمع، واستحوذت، بناءً على ذلك، خلال الـ 40 عاماً الماضية، على مساحة واسعة من القاعدة الاجتماعية الفلسطينية. وعليه، فإن مداها البشري لا ينحصر بقدر مَن ينتمون إليها وتحصيهم قواعد البيانات الإسرائيلية فقط، إنما في مَن سيبقى مستعداً دائماً للانخراط في المعركة، وهذا ما تظهره العملية البرية المستمرة في شمال القطاع. إذ إن العدو استطاع، خلال الـ20 يوماً الأولى من الحرب، القضاء تماماً على واحدة من أكبر الكتائب العسكرية التابعة لـ"القسام" في شمال غزة، والتي تعرف بـ"الكتيبة الغربية"، وتعمل في مناطق شمال غرب محافظة شمال القطاع، وتحديداً في مدينة بيت لاهيا. هناك، أمكن إحصاء المئات من المقاومين، وقبلاً منهم قادة الكتيبة، الذين أُطبقت عليهم مسارات الأنفاق والمواقع التي كانوا يتحصّنون فيها في انتظار التقدّم البري. ومنذ ذلك الحين، تحوّلت المساحة الجغرافية التي كانت تلك الكتيبة مسؤولة عنها، إلى مساحة سهلة العبور، لا تحتاج آليات العدو إلا بضع دقائق للوصول إلى أعمق نقطة فيها. ولكن، خلال العدوان البري المستمر في الشمال منذ أسبوعين، عادت "الكتيبة الغربية" لتصدر بيانات "القسام"، حيث أحصت "الأخبار"، خلال 14 يوماً من التوغل، أكثر من 18 مهمّة قتالية تحمل بصمات نوعية، مِن مِثل الكمائن واستهداف القوات الخاصة، فضلاً عن المشاغلة بقذائف الهاون وتفجير الآليات. كل ما تقدّم، لا يشير فقط إلى القدرة المستمرة على التعافي وإعادة البناء، وإنّما إلى وجود قيادة مركزية تحدّث تكتيكات القتال وتعمّم أساليب تتناسب مع طبيعة كل مرحلة وما فيها من تحدّيات.

أمّا على صعيد البناء القيادي والقدرة على إدارة المشهد السياسي، فيكفي القول، إن أولى المؤسسات التي بنَتها حركة "حماس" حتى قبل الإعلان عن انطلاقتها الرسمية في عام 1987، كانت الجامعة الإسلامية التي أُسّست في عام 1979، ومثّلت، إلى جانب المئات من المساجد والمؤسسات الخيرية، الخزان الذي عمل طوال 40 عاماً على صناعة المخزون البشري، المؤهّل أكاديمياً ونفسياً لتولّي أهمّ المناصب في أصعب الظروف.

مَن يعش في غزة، وعايش هذه الحركة، لا يستغرب ما تقدّمه اليوم من تضحيات وعناد ومكابرة، إنّما سيقف مذهولاً أمام سقف الطموحات العالي الذي يتحدّث به الإسرائيليون والأميركيون.

(أ ف ب)



قوى المقاومة تنعى الشهيد المشتبك: أمل العدو سيخيب

نعت حركة «حماس» وباقي أطراف «محور المقاومة»، رئيس المكتب السياسي للحركة، الشهيد يحيى السنوار، بالتأكيد أن استشهاده مشتبكاً في الصفوف الأولى، سيُلهم كل المقاومين الذي يخوضون القتال مع العدو على مختلف الجبهات، وبالتالي سيخيب أمل العدو، والغرب من ورائه، في تحويل خسارة القائد الكبير إلى هزيمة للمقاومة. وتجلّى ذلك خصوصاً في رد «حماس» على الحملة الغربية التي سعت إلى استثمار الحدث؛ إذ أكدت الحركة أن الأسرى الإسرائيليين لن يعودوا إلا بعد تنفيذ ما سبق أن طرحته من شروط في مفاوضات وقف إطلاق النار.

وقال عضو المكتب السياسي لـ«حماس»، خليل الحية، في كلمة متلفزة، «إننا ننعي القائد الوطني الكبير الأخ المجاهد الشهيد يحيى السنوار الذي استشهد ممتشقاً سلاحه، مشتبكاً ومواجهاً لجيش الاحتلال في مقدّمة الصفوف». وأضاف أن «قتل السنوار وكل القادة ورموز الحركة الذين سبقوه... لن يزيد حركتنا ومقاومتنا إلا قوة وصلابة وإصراراً على المضي في دربهم». وأكد الحية «للمتباكين على أسرى الاحتلال لدى المقاومة» أن هؤلاء «لن يعودوا إليكم إلا بوقف العدوان على شعبنا في غزة والانسحاب الكامل منها وخروج الأسرى الأبطال من سجون الاحتلال». ونعت «كتائب القسام»، بدورها، السنوار، مؤكدة، في بيان، أن «مسيرة الجهاد لن تتوقّف حتى تحرير فلسطين»، معتبرة أن «إسرائيل تخطئ إن ظنّت أنها باغتيال قادة المقاومة ستدفعنا إلى التراجع».

ومن لبنان، قدّم «حزب الله»، في بيان، «أحرّ التعازي إلى الشعب الفلسطيني المجاهد باستشهاد قائد طوفان الأقصى، رئيس المكتب السياسي لحركة حماس، الأخ المجاهد يحيى السنوار، الذي وقف في مواجهة المشروع الأميركي والاحتلال الصهيوني»، مضيفاً «أننا في قيادة حزب الله، والذين نواجه مع شعبنا اللبناني المقاوم والصامد تداعيات العدوان الصهيوني الإجرامي، نؤكد وقوفنا إلى جانب شعبنا الفلسطيني». وفي طهران، أكد الرئيس الإيراني، مسعود بزشكيان، أن «المقاومة الفلسطينية لن تتوقف باستشهاد السنوار»، فيما اعتبر وزير الخارجية، عباس عراقجي، أن «السنوار سيظل مصدر إلهام للقتال» ضد العدو.

موتٌ يشرق

مطر عدوان

«وتشهد أنك قاتلت الغارات وقاتلت البحر
وقاتلت طوابير الدبابات
وقاتلت خيانات الدبابات الأخرى
وصمدت صمود الأنواء
رشاشك كان وكالة أنباء الثوار
إذا كذبت فيك وكالات الأنباء
خذ جورب سيدة ذبحت
احفظه بجيبك» ــ «عبدالله الإرهابي»، مظفر النواب

استشهد يحيى السنوار، استشهد الرجل الذي شغل الدنيا والناس. قبل عام فقط، العالم بأجمعه بات يعرف اسمه، جربوا تقديمه كإرهابي، وهذا ما يدغدغ صحافة العالم، ففرحت بالوصف واستمرت عليه، وبنت ما بنت على تلك الصفة في تبني رواية إسرائيل لمبررات حرب الإبادة التي تشنها على الشعب الفلسطيني في قطاع غزة، وفي باقي أنحاء فلسطين بأشكال مختلفة، والتي ستشنها على الشعب الفلسطيني أينما وجد، ولا سيما في دول الطوق. وطبعاً، في ظل الصمت العربي والعالمي، تسترسل اليوم في محاولتها بتر جنوب لبنان عن لبنان، وربما أجزاء من سوريا عن سوريا.

أدرك السنوار ما كانت تفكر فيه إسرائيل منذ سنوات طويلة، أي مشروعها في استعباد شعوب المنطقة، واستعباد العالم كما نرى الآن. إدراكه هذا لم يكن فقط من معرفة بالعقل الإسرائيلي، بل من وعي بالتوازنات التي أسست إسرائيل، والتي وصلت إلى المكان الذي يسمح لها بتصحيح «خطأ» الصهاينة الأوائل، أولئك الذين اكتفوا بـ 78% من فلسطين. فلم يكملوا تطهير الأرض من شعبها، ولم يحتلوا باقي فلسطين. وها نحن اليوم نواجه تكملة للمشروع، ما يعبرون عنه في كثير من الأحيان، إذ لم يعد هذا الكلام نظرياً، هم يريدون السطو على كل المنطقة، واستعباد شعوبها.

■■■

استشهد السنوار، وقد أدرك أسمى لحظات الفداء، بأنه عرف بأن النجاة مما نحن فيه، بتقديم نموذج، لا يتم الكلام عنه، إنما يمثّل، وهكذا «انتهت» حياته المادية، وبدأت حياته الأخرى بيننا. يعيش السنوار بيننا منذ الأمس، منذ انتشرت صوره صريعاً، بجوهر جديد جداً، جوهر القائد الذي يقاتل مع باقي الفدائيين، يرونه ويسمعونه، يؤمنون به ويؤمن بهم.

هؤلاء يطيب لبعضنا أن يراهم كأناس يذهبون إلى «الموت» بقصد الجنة والإيمان الديني فقط. وهو دافع لا شك، لكن الأرض التي يؤمنون بانتمائهم إليها دافع آخر، وشعبهم أيضاً. هؤلاء ينصرون المظلوم، ويدفعون المظلمة، وهؤلاء معنى يحتاج فهمه إلى الكثير الكثير من تبسيط الأمور، مثلاً أن هؤلاء يقاتلون الظالم القاتل، من أجل أن يتمكن رجل آخر من الزواج وإنجاب طفل يمكن أن يحيا حياة كريمة. هم بشر مثلنا، لكن دواخلهم مختلفة، لا ينتظرون من كاتب أن يكتب عنهم، ولا يندفعون نحو الصورة، ينكرون الذات، ويؤمنون بقضاياهم بلا كلام كثير، فهم أهل المعادلات البسيطة، ومن أجل تحقيقها يرسون أعقد المعادلات التي في وسعهم حلّها. السنوار الذي جدد مفهوم الفداء، هو الذي التقى بعد أن تحرر من أسره بكل القطاعات الشبابية للفصائل في قطاع غزة، فخرجوا جميعاً راضين مقتنعين بالرجل الوطني المقتنع والموافق والمقبل على الكل الوطني. هذا السنوار يحيى يحيا لا يموت وإن مات.

■■■

استشهد السنوار، وفي لحظة وعي خاطفة في الأذهان، يبدو أنه مع أقرانه من الفدائيين، الشهداء الذين لم يسلموا حياتهم للموت، بل سلموها للحياة، فخلدوا في أذهان الشعوب. فاليوم وبعد أن غاب جسد السنوار، يجالس في عقول الأحرار السيد حسن نصرالله الذي يجالس أبا جهاد وأبا إياد وفتحي الشقاقي ويحيى عياش وأحمد ياسين وعبد العزيز الرنتيسي ووديع حداد وعبد القادر جرادات، وليس غريباً أن في مجلسهم إرنستو تشي غيفارا وعز الدين القسام وعبدالله صيام وماجد أبو شرار وخالد نزال وجيفارا غزة وعماد مغنية. هؤلاء جميعاً وغيرهم كثر في العالم، يفهمون لغة بعضهم بعضاً، لغة الحرية، ومفردات الوصول إليها، هذه الشمس التي لا يسمحون لها بالانطفاء. هؤلاء السادة، من نعرفهم ومن لا نعرفهم، الذين وثّقهم التاريخ والذين نسيتهم صفحات الصحافيين، هؤلاء يقظة العالم على الاستعباد، وقيامة الشعوب من مواتها الإجباري والاختياري. هؤلاء السادة، يأتون مجددين لإيمان الإنسان بوجوده الحر في حياته وأرضه، وهؤلاء خير من في الأرض.

إحياء هؤلاء في وعي الجميع حياة. وبقاء هؤلاء في حياة أولادنا وبناتنا نقاء.

* صحافي فلسطيني

اليمن يزف السنوار
جبهة الإسناد باقية على عهدها

صنعاء - **رشيد الحداد**

جدّدت صنعاء ثبات موقفها المساند للشعب الفلسطيني ومقاومته في قطاع غزة، معتبرة استشهاد رئيس المكتب السياسي لحركة «حماس»، يحيى السنوار، في خط الدفاع الأول عن قطاع غزة الذي يتعرّض لجرائم إبادة جماعية من قبل الكيان الإسرائيلي وداعميه، مثار فخر واعتزاز لكل أحرار الأمة العربية والإسلامية والمقاومة الإسلامية في فلسطين. وباركت المسيرات الشعبية التي نُظمت في صنعاء والمحافظات، أمس، استشهاد السنوار. وتعهد مئات الآلاف من اليمنيين الذين شاركوا في مسيرة حملت عنوان «مع غزة ولبنان... صف واحد كالبنيان»، نظمتها «لجنة نصرة الأقصى» في ميدان السبعين في العاصمة، بالاستمرار على نهج الشهيد في مقارعة الاحتلال الإسرائيلي بمختلف الوسائل والإمكانات، والاستمرار في تأييد الإسناد العسكري اليمني ضد الكيان، مؤكدين في بيان صدر عن المسيرة وعشرات المسيرات الأخرى التي شملت 120 ميداناً وساحة في المحافظات الواقعة تحت سيطرة حركة «أنصار الله»، أن «استشهاد السنوار في أعظم معركة، سيدفع المقاومة الفلسطينية وكل جبهات الإسناد المجاهدة إلى الانتقام والثأر له ولكل الشهداء».

وشدّد المشاركون في المسيرات على أن «طوفان الأقصى حي ولن يموت». وحيا البيان الشعب الفلسطيني ومقاومته على الصمود والثبات في وجه العدوان الإسرائيلي. ورفع المشاركون في الفعاليات صورة الشهيد الذي نعاه أيضاً المكتب السياسي لحركة «أنصار الله».

ونعى «المجلس السياسي الأعلى» الحاكم في صنعاء، كذلك، السنوار، قائلاً، في بيان، إن الأخير «قضى بعد مسيرة طويلة حافلة بالجهاد والعطاء في سبيل الدفاع عن فلسطين ومقدّساتها»، مضيفاً أن «الشهيد البطل رفع راية الجهاد ووقف بفاعلية وثبات في طليعة الشعب الفلسطيني المظلوم الصابر والمجاهدين في حركات المقاومة الفلسطينية، وشكّل جبهة صلبة وقوية في وجه العدوان الإجرامي الصهيوني حتى توّج أعماله وجهاده بالشهادة في سبيل الله». وجدد المجلس، وهو أعلى سلطة سياسية في صنعاء، تأكيد «موقف اليمن الثابت والمبدئي بالوقوف إلى جانب الشعب الفلسطيني المظلوم، والاستمرار في مساندته بكل ما لدينا من إمكانات وبكل الوسائل حتى يتم إيقاف العدوان ورفع الحصار».

وكان الشهيد السنوار قد أثنى على دور جبهات الإسناد اليمنية والعراقية واللبنانية. وفي آخر رسالة وجهها إلى قائد حركة «أنصار الله»، السيد عبد الملك الحوثي، منتصف الشهر الماضي، شكر السنوار الشعب اليمني على تضامنه الصادق، وبارك تدشين قوات صنعاء «المرحلة الخامسة» من مراحل التصعيد ضد الكيان، مشيداً بتمكّن الصواريخ اليمنية من الوصول إلى عمق كيان العدو، وتجاوزها كل طبقات ومنظومات الدفاع والاعتراض، لتعيد وهج معركة «طوفان الأقصى» وتأثيرها إلى قلب تل أبيب من جديد. وأكد السنوار، في رسالته، أن «المقاومة الباسلة التي تقودها كتائب القسام خاضت هجوم 7 أكتوبر باقتدار قلّ نظيره، ومعركة دفاعية على مدار عام كامل أرهقت العدو وأثخنت فيه». وأضاف «أنني في هذا الصدد أطمئنكم إلى أن المقاومة بخير، وأننا قد أعددنا أنفسنا لخوض معركة استنزاف طويلة تكسر إرادة العدو السياسية، كما كسر طوفان الأقصى إرادته العسكرية، وأنّ تضافر جهودنا معكم ومع إخواننا في المقاومة الباسلة في لبنان، والمقاومة الإسلامية في العراق، سيكسر هذا العدو وسيُلحق به الهزيمة على طريق دحره عن أرضنا بإذن الله».

انتشاء إسرائيلي باستشهاد السنوار: لصفقة الآن... وإلا

بيروت حمود

بعد سنة كاملة من مطاردته، تمكّنت إسرائيل، أخيراً، من قتل رئيس المكتب السياسي لحركة «حماس»، الشهيد يحيى السنوار، فيما ظل الأخير يقاتل نازفاً حتّى الرمق الأخير. أُغلقت الدائرة إذاً، وهو ما دفع بمحللين إسرائيليين إلى دعوة حكومتهم إلى اغتنام الفرصة من أجل التوصل إلى اتفاق لوقف إطلاق نار في كل من غزة ولبنان، وتبادل الأسرى. وتمثل لحظة استشهاد السنوار، وفقاً للمحلل السياسي لصحيفة «يديعوت أحرونوت»، ناحوم برنياع، واحدة من اللحظات التي تنطبق على «ما علّمنا إياه مناحيم بيغن، وهو قول ما هو مفروغٌ منه». فالضربة التي تلقّتها الحركة «ذات دلالات رمزية ومعنوية بعيدة المدى، ودلالات أخرى تكتيكية وإستراتيجية». كما أن استشهاد السنوار، وقبله الأمين العام لحزب الله الشهيد السيّد حسن نصرالله، إلى جانب تصفية السلسلة القيادية في حزب الله و«حماس»، مثّلا، طبقاً لبرنياع، «ذروة الحرب»؛ حيث «لن يكون هناك ما يمكن تصفيته» بعد ذلك، وعلى هذا الأساس «ثمة شك في احتمال أن تكون هناك إنجازات أكبر مستقبلاً».

ويستنتج برنياع أنه قد حانت اللحظة الصحيحة للشروع في عملية ديبلوماسية، بإمكان إسرائيل أن تنهي عبرها الحرب على جبهتَي غزة ولبنان، وفي المقابل «تستعيد المختطفين، وتنزع سلاح غزة، بعدما غابت حماس كقوّة عسكرية وسلطوية. وبالنسبة إلى لبنان، ستحصل على نزع السلاح في الجنوب، وتطبيق القرار 1701، وتستبدل قوات اليونيفيل بقوى أخرى، وتحصل على تأييد دولي لِحقها في القيام بتوغلات عسكرية في غزة وجنوب لبنان، إذا ما خُرق الاتفاق»، بحسب زعمه. وتساءل برنياع ما إن كانت الضربة غير المباشرة التي تلقتها إيران بالقضاء على السنوار فائضة عن الضربة المباشرة التي تتوعد إسرائيل بإنزالها بطهران في الأيام القريبة، معتبراً، في دعوة غير مباشرة إلى تجنب المواجهة مع الأخيرة، أنه الآن «لن يكون مضراً إجراء نقاش آخر حول (جدوى) لعبة البينغ بونغ مع الإيرانيين. فقد فهموا أننا لسنا أغبياء».

وتبدو دعوة برنياع إلى استغلال الظروف الحالية لإنهاء الحرب، متّسقةً مع مطالب القيادة العسكرية للجيش، والتي تُظهر بحسبه «تأييداً واسعاً لإنهاء الحرب»، كونها تأخذ في الحسبان «الثمن الباهظ للقتال المستمر والذي يُسقط قتلى وجرحى إسرائيليين يومياً»، بموازاة «ضائقة الموارد والمخزونات، والتعلّق بإمدادات الذخيرة التي ترسلها الولايات المتحدة». إلا أنه على المقلب الآخر، يقف وزير الأمن، يوآف غالانت، متمسكاً بالضغط العسكري باعتباره سيدفع بالطرف الثاني إلى التفاوض. ورغم أن برنياع عدّ ذلك «منطقياً»، فهو رأى أن هذه اللحظة الصحيحة لتذكير غالانت بالنصيحة الكلاسيكية للسيناتور الجمهوري، كليبورد كاييس، والتي قالها في نهايات حرب فيتنام: «أعلن النصر وعد إلى الوطن». ورغم ما تقدّم، فإن القرار بحسب برنياع «يظل بيد شخص واحد هو بنيامين نتنياهو»،

> **تبدو الدعوة إلى استغلال الظروف الحالية لإنهاء الحرب، متسقةً مع مطالب قيادة الجيش**

متسائلاً: إلى أين يريد أن يتجه الآن؟ وهل سيحوّل الإنجاز إلى اتفاق، أم سيسعى إلى مواصلة الحرب في إحدى الجبهتين أو كلتيهما، وهو الذي تحدث عن الأسرى وعن مواصلة الحرب، «وهما أمران متناقضان». وأضاف أن «الجهات المهنية في إسرائيل تعتبر أنه في المدى الفوري ستواجه حماس صعوبة في استئناف المفاوضات. ولاحقاً، من دون السنوار، ربما سيكون أسهل على قيادة حماس أن تقدم تنازلات».

ومن جهته، رأى المحلل العسكري لصحيفة «يسرائيل هيوم»، يوآف ليمور، أنه باغتيال السنوار لم يعد ثمة عنوان لا في غزة ولا في قطر، معتبراً ذلك بمثابة «المشكلة الأكبر والأكثر إيلاماً» بالنسبة إلى إسرائيل. ومع هذا، فإنه في الظرف الناشئ، ورغم أن مقاتلي الحركة سيبقون في غزة، «بإمكان إسرائيل الدفع بحل يضع بديلاً سلطوياً واضحاً بغياب قائد الحركة»، بحسب ليمور، الذي لا يضيف أنه ليس على إسرائيل انتظار المقترحات الغربية «فالعالم يتنكّر لها، وقد يحاول فرض حلول أقل راحة بالنسبة إليها». ويستدرك بأنه لا ينبغي أن تستجيب إسرائيل للمقترحات التي يدفع بها التيار المسياني في الحكومة، والذي يسعى إلى الاستيطان في غزة، مشدداً على أنه بدلاً من الخيار المذكور «على الحكومة المبادرة إلى حل يعيد المختطفين، وينهي الحرب، ويؤسس لحكم بديل، يضمن حرية عمل عسكري وأمني في القطاع».

على أن مصير الأسرى الإسرائيليين بعد اغتيال السنوار بات معقّداً أكثر، بحسب محلل الشؤون الاستخبارية في صحيفة «يديعوت أحرونوت»، رونين بيرغمان، الذي يشير إلى اعتقاد المسؤولين الأمنيين بأن أي «رئيس جديد لحماس، في داخل غزة أو خارجها، لن يوافق على أقل ممّا وافق عليه السنوار». كما يسود قلق في داخل المنظومة الأمنية من أن اغتيال السنوار قد يفضي إلى تفكك معيّن في «حماس»، يدفع المسؤولين عن حراسة الأسرى إلى «التصرّف وفقاً لمشيئتهم وربما الانتقام منهم». وعليه، تعتبر الجهات الأمنية أن عدم التوصل إلى اتفاق في خضم الظروف الناشئة حالياً، قد يجعل من مصير الأسرى مشابهاً لمصير الطيار الإسرائيلي، رون أراد، الذي اختفى عقب أسره في لبنان في الثمانينيات. وفي هذا الإطار، نقل بيرغمان عن مسؤول أمني إسرائيلي رفيع، قوله إن «هذه فرصة يحظر إهدارها بأي شكل. والبديل هو أننا سنفقد السيطرة على الوضع مقابل خلايا معدودة أو مقابل شخص متطرف يفرض سيطرته. ويتعين على جميع الأدمغة في دولة إسرائيل أن تفكر كيف سيتم الآن إجراء اتصالات من أجل تحريك صفقة، وكي تتلقى حماس أيضاً اتصالاً من أجل التفاوض».

على الغلاف

تحذيرات غربية من بيع الأوهام
«حماس» باقية... والصفقة بعيدة

ريم هاني

يُدرك صناع السياسة في إسرائيل والولايات المتحدة، أنّ استشهاد رئيس المكتب السياسي لحركة «حماس» وقائد الحركة في غزة، يحيى السنوار، هو أبعد ما يكون عن «القضاء» على حركة المقاومة وإنهاء الحرب، وإن سارع بعض المسؤولين الأميركيين، مجدداً، إلى محاولة بيع إسرائيل «صورة نصر وهمي»، معربين عن نيتهم تجديد المساعي الدبلوماسية إلى إنهاء الحرب. أمّا التقارير ومقاطع الفيديو التي توثق اللحظات الأخيرة التي سبقت استشهاد السنوار، فلا تكشف إلا عن جهل إسرائيلي بطبيعة المقاومة، نظراً إلى أنّ ما نشره العدو لن يزيد المقاومين إلا شراسة في المدة المقبلة، وهو ما عبّرت عنه بوضوح مصادر من «حماس»، أكدت أنّ الحركة ستواصل القتال «بقوة أكبر». على أن اللافت، أنّ المساعي الأميركية «المتجددة» إلى إبرام اتفاق لوقف النار، تهدف، على الأرجح، إلى الضغط على إسرائيل لإنهاء الحرب، نظراً إلى أنّ استمرار الأخيرة سيكون له، طبقاً لهؤلاء، تبعات كارثية عليها.

وفي السياق، تنقل صحيفة «فايننشال تايمز» البريطانية عن ديبلوماسيين ومحللين قولهم، إنه في حين أن قتل زعيم «حماس»، العقل المدبر لهجوم السابع من أكتوبر، هو بمنزلة «ضربة موجعة» لـ«حماس»، إلا أنّه لا يعني بالضرورة «انهيار» الجماعة، ولن ينهي، لوحده، الحرب المدمرة في غزة. ويحذّر أحد الديبلوماسيين الغربيين، في حديثه إلى الصحيفة، من أن استمرار الحرب إلى أجل غير مسمى سيكون مدمراً لا بالنسبة إلى غزة فقط، بل إلى إسرائيل أيضاً، ولا سيما الأسرى، معتبراً أنّ «اغتيال السنوار يشكل المرحلة الأخيرة من القتال العسكري النشط»، وأنّ الكرة حالياً في ملعب إسرائيل، التي عليها أن تقرر إلى «أي مدى تريد المضي قدماً في الحرب الدائرة». ومن جهته، يقول إبراهيم دلالشة، وهو رئيس مركز بحثي في رام الله، إنّ ضرب «الرأس» لا يلغي فكرة أنّ «بقية الجسد لا تزال تتعامل مع عملية عسكرية إسرائيلية مستمرة في غزة، وتزداد قسوة في ما يتعلق بالحفاظ على سيطرتها». ويضيف: «ما زلنا بعيدين عن الاستسلام التام والانهيار»، مشيراً إلى أنّ القادة الجدد «قد يكونون على استعداد لتخفيف شروطهم مقارنة بالخط الذي كان السنوار يتبعه، لكن بنسبة محدودة فقط، وإلا فهم لن يكونوا قادة (حماس) فعلياً».

أمّا شبكة «بي بي سي» البريطانية، فتشير، من جهتها، إلى أنّ رئيس وزراء الاحتلال، بنيامين نتنياهو، يكرر مراراً «أهدافه الحربية»، المتمثلة في القضاء على «حماس» كقوة عسكرية، واستعادة الأسرى، مضيفة أنّه لم يحقق أياً من الهدفين، رغم الحرب التي أودت بحياة نحو 42 ألف فلسطيني، وتركت قطاع غزة في حالة من الخراب، وذلك نظراً إلى أنّ الأسرى ليسوا أحراراً بعد، وأنّ «حماس» لا تزال تقاتل وتقتل أفراد القوات الإسرائيلية. وتذكّر بأنّه منذ عام 1990 «قتلت إسرائيل جميع قادة (حماس) باستثناء واحد فقط، قبل أن تجد الحركة خليفة لهم في كل مرة».

> تناقش الإمارات مع إسرائيل وواشنطن منذ أشهر «خطة بديلة» لغزة ما بعد الحرب

وبدورها، تلفت صحيفة «نيويورك تايمز» الأميركية إلى أنّ عدداً قليلاً من الخبراء يعتقدون أنّ قتل السنوار سيثني حركته عن متابعة القتال، مشيرةً إلى أنّه في حين أن إسرائيل لم تضع خطة واضحة لكيفية انتهاء الحرب أو من سيدير غزة بعد ذلك، متعهدة بمنع «حماس» من استئناف أي دور في الحكم، فإنّ الأخيرة «تواصل القتال»، وكثيراً ما كانت تظهر مجدداً، وتشنّ هجمات جديدة، في المناطق التي تزعم إسرائيل أنّها «طهرتها». وتنقل الصحيفة عن رمزي مارديني، من «معهد بيرسون في جامعة شيكاغو»، الذي يدرس حركات التمرد والحروب الأهلية، قوله إنّ «حماس» تخوض منذ عام حرباً في مساحة مغلقة جداً، ما يعني أنّها تعتمد على «اللامركزية» في قتالها إلى أقصى حد، وعلى مجموعات مكونة من عشرات المقاتلين أو أقل، والذين يتمتعون «بمستوى عال من الاستقلالية». ويتابع الخبير أنّ ما تقدم يشير إلى أنّ استشهاد السنوار لن يؤثر على تلك العمليات، لا سيما أنّه لم يكن، على أي حال، يقودها بنفسه.


(أف ب)

الخطط الأميركية

وبطبيعة الحال، وفور إعلان جيش العدو استشهاد السنوار، خرج المسؤولون الأميركيون، وعلى رأسهم الرئيس الأميركي، جو بايدن، لتهنئة نتنياهو على «الإنجاز الأخير»، والترويج لفكرة أنهم أزالوا «العقبة الرئيسية» في اتجاه التوصل إلى اتفاق لوقف إطلاق النار، مطلقين العنان لـ«حراك ديبلوماسي» جديد. وعليه، أبلغ وزير الخارجية الأميركي، أنتوني بلينكن، الرئيس الإسرائيلي، إسحاق هرتسوغ، أنه يخطط للسفر إلى المنطقة في الأيام المقبلة، لمناقشة سبل الضغط من أجل إبرام الاتفاق، فيما أبلغ بايدن نتنياهو أنّ الوقت قد حان للمضي قدماً في هذا الاتجاه.

وبحسب مصادر ديبلوماسية تحدثت إلى صحيفة «فايننشال تايمز»، فإنّ إحدى المبادرات التي تجري مناقشتها ستشمل عرضاً لوقف إطلاق النار، مقابل إطلاق سراح الأسرى الإسرائيليين، ومنح «ضمانات جسدية» لمقاتلي «حماس» الذين سيطلقون الأسرى، جنباً إلى جنب استكمال المحادثات لإنهاء الحرب. على أنّ الطرح المشار إليه، سيقابل، كما كل ما سبقه، بـ«تعنّت» إسرائيلي، لا سيما في ظل وجود الائتلاف اليميني المتطرف الذي يقوده نتنياهو. وكان حثّ الأخير في بيان، عقب استشهاد السنوار، مقاتلي «حماس» على إطلاق سراح الأسرى، من دون ذكر وقف إطلاق النار. وقبل استشهاد رئيس «حماس»، بدا الحراك الأميركي المشار إليه «مؤجلاً» على الغالب، إلى ما بعد الانتخابات الأميركية الشهر القادم، إذ ذكر موقع «أكسيوس» الأميركي، الأربعاء، نقلاً عن مسؤولين أميركيين، أنّ بلينكن يدرس «خطة ما بعد الحرب» في غزة على أساس أفكار «طورتها» إسرائيل والإمارات، على أن يتم طرحها بعد الانتخابات الرئاسية، وسط قلق في أوساط عدد من المسؤولين في البيت الأبيض ووزارة الخارجية من أن الخطة المذكورة ستهمش رئيس السلطة الفلسطينية، محمود عباس، وحكومته، «وهو ما تضغط إسرائيل والإمارات من أجله على المدى القريب». على أنّ مسؤولين آخرين في الخارجية الأميركية يحذرون من أنّه من «غير الحكيم تقديم خطة تخدم مصالح نتنياهو، وستقابل بالتأكيد برفض من الجانب الفلسطيني، وتفشل»، علماً أنّ إدارة بايدن وإسرائيل والإمارات تناقش تلك الخطة منذ أشهر، واكتسبت نقاشاتها حولها «زخماً جديداً» في الأسابيع الماضية.

البحر الميت بعد الأغوار: فدائيو الأردن لا ينقطعون

نجاح المقاومين في اختراق الحدود من جنوب البحر الميت، يمثّل نقلة نوعية تراها إسرائيل «خطيرة» (أ ف ب)

رام الله - أحمد العبد

سواء أدركت ذلك أم لم تدركه بعد، إلا أن الحقيقة التي تعكسها الوقائع على الأرض، تفيد بأن إسرائيل باتت مزنّرة بحزام من نار، لا يمكن لأحد التكهّن بنطاق امتداده. ففيما كان العدو يحتفي باستشهاد رئيس المكتب السياسي لحركة «حماس»، يحيى السنوار، لم تفارقه المنغصات؛ وجاء أولها في صورة السنوار التي سرّبها العدو نفسه، وظهر فيها بالزيّ العسكري مقاتلاً مشتبكاً قبل استشهاده؛ وثانيها تمثل في إعلان الاحتلال، في الوقت ذاته، وقوع قوة من لواء «غولاني» في كمين قاتل في جنوب لبنان، أسفر عن مقتل ضابطين وثلاثة جنود، إلى جانب إصابة آخرين.

ولم تمضِ ساعات على إعلان استشهاد السنوار جنوبي قطاع غزة، حتى كانت منطقة البحر الميت على موعد مع تسلّل مقاومَين من الأردن، حيث أطلقا النار على قوات الاحتلال. وذكرت إذاعة الجيش الإسرائيلي أن المقاومَين قاما بقطع السياج الحدودي باستخدام مقص، في حين لم يصل جنود العدو إلى المكان إلا بعد حوالى 15 دقيقة من رصد المتسلّلَين، والذي أعقبه اندلاع اشتباك معهم. وزعمت الإذاعة العثور في حوزة المقاومَين على أدوات مثل مناظير، وبوصلة، وخرائط، وسكين كوماندوز، وقاموس للغتين العبرية والعربية، مشيرة إلى أن جيش الاحتلال وضع سيناريوات عدة لاحتمال وقوع أحداث أمنية عند الحدود مع الأردن ومصر، بعد استشهاد السنوار.

وبمعزل عن حجم الخسائر التي نتجت من العملية، فإن وقوعها في ذلك المكان، ونجاح المقاومَين في اختراق الحدود من جنوب البحر الميت، على بعد ثلاثة كيلومترات من مستوطنة «إيلوت»، يمثّلان نقلة نوعية تراها إسرائيل «خطيرة»، كون عمليات التسلّل دائماً ما كانت تقع في منطقة الأغوار. وأصيب جنديان إسرائيليان في العملية، التي استشهد منفّذاها الأردنيان، عامر قواس وحسام أبو غزالة، في وقت أعلن فيه جيش الاحتلال أن ثمة شاباً ثالثاً تمكّن من الانسحاب، ما دفع القوات الإسرائيلية إلى إعلان الاستنفار، والطلب من المستوطنين البقاء في المنازل، بل والاضطرار إلى إجلاء السيّاح من شواطئ البحر الميت.

وعلى خلفية الحدث نفسه، فرض جيش العدو طوقاً أمنياً في المنطقة، ودفع بقوات كبيرة، وأغلق الطرق، وشرع في عمليات التمشيط جواً وبراً بحثاً عن «المشتبه به» الثالث، في حين زعم أن المنفذين كانوا يرتدون الزيّ العسكري. وعاد الجيش الإسرائيلي ليعلن، مساء أمس، أنه "بعد عمليات تمشيط واسعة، أزيل الاشتباه بتسلّل مسلح ثالث من الأراضي الأردنية".

وتلقي هذه العملية ثقلاً إضافياً على المؤسسة الأمنية الإسرائيلية، وسط خشية من تكرارها، وتحوّلها إلى نموذج لكثير من الأردنيين، بما يؤدي إلى اشتعال الجبهة الشرقية لفلسطين المحتلة، علماً أن هذا الهجوم يأتي بعد أسابيع قليلة فقط من آخر مشابه نفّذه الشاب الأردني، ماهر الجازي، عند معبر الكرامة، حيث قتل ثلاثة مستوطنين. وتعيش المستوطنات القريبة من الحدود مع الأردن، حالة من الريبة والقلق من وقوع عمليات فدائية، إذ أوردت صحيفة «يسرائيل هيوم» أن مستوطنين من منطقة وادي عربة، أبلغوا «قبل نحو أسبوع، عن تحرّك مركبات بيضاء على طول الحدود الأردنية». ونقلت الصحيفة عن إحدى المستوطنات، قولها: «أنا خائفة وغاضبة، وأريدهم أن يستمعوا إلينا، وأن يستمعوا إلى ما يقوله الميدان؛ أزيلوا التهديد قبل أن يضربونا».

> قد تصبح الحدود الأردنية مع الضفة الغربية (400 كيلومتر) الهاجس الأكبر لقوات الاحتلال

ويبدو جلياً أن عملية البحر الميت ليست معزولة عن كل ما يجري في المنطقة، إذ جاءت بعد شهر على عملية المعبر، فيما يُرجّح أنها لن تكون الأخيرة. كذلك، يشير الحدث إلى تخطيط المنفذين ورصدهم للمنطقة، واتساع نطاق الحدود التي يمكن أن يتسلّل منها المقاومون، وتحديداً جنوب البحر الميت، الأمر قد يجعل الحدود الأردنية مع الضفة الغربية (400 كيلومتر) الهاجس الأكبر لقوات الاحتلال، ويستدعي تالياً انتشار أعداد كبيرة من القوات الإسرائيلية على تلك الحدود، التي يستبعد خبراء عسكريون إمكانية ضبطها.

فرنسا - إسرائيل
اشتباك كلامي لا يكبح الإبادة

لندن - سعيد محمد

في ظلّ العدوان الإسرائيلي على لبنان، والتهديدات التي تتعرّض لها قوات حفظ السلام الفرنسية العاملة في إطار «اليونيفل»، تصاعدت حدّة الجدل العلني بين الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون، ورئيس الحكومة الإسرائيلية بنيامين نتنياهو، بعدما وجّه الأخير نداءً إلى القوّة الدولية بضرورة الانسحاب شمالاً من مواقعها في جنوب لبنان، علماً أن تعداد الفرنسيين فيها يبلغ نحو 700 جندي. ونقلت الصحف الفرنسية عن ماكرون، الثلاثاء، قوله إنه ينبغي على نتنياهو ألا «يتجاهل قرارات الأمم المتحدة»، مشدداً أمام وزراء الحكومة الفرنسية، خلال اجتماع مغلق، على أنه «يجب على السيد نتنياهو ألّا ينسى أن بلاده أنشئت بقرار من الأمم المتحدة»، في إشارة إلى تصويت الجمعية العامة للأمم المتحدة في تشرين الثاني عام 1947، على قرار أنهى الانتداب البريطاني على فلسطين، وقسّم الأرض إلى دولتين: يهودية وأخرى عربية.

ومع أن وزير الخارجية الفرنسي، جان نويل بارو، عمد إلى التقليل من شأن تعليقات ماكرون، قائلاً إنها تصريحات عامة، هدفها «تذكير إسرائيل بأهمية احترام ميثاق الأمم المتحدة»، إلا أن نتنياهو سارع إلى الرد بحدّة عليها، قائلاً إنه يودّ «تذكير الرئيس الفرنسي بأن إسرائيل لم تُنشأ بقرار من الأمم المتحدة، ولكن بفضل النصر الذي تحقّق في حرب الاستقلال بدماء المقاتلين الأبطال، وكثير منهم كانوا ناجين من الهولوكوست، بما في ذلك من نظام فيشي في فرنسا». ويتّهم الإسرائيليون، الحكومة الفرنسية التي قامت في مدينة فيشي، وتعاونت مع الجيش الألماني خلال الحرب العالمية الثانية، بأنها رحّلت حوالى 76 ألف يهودي من فرنسا إلى معسكرات اعتقال في ألمانيا.

وفي سياق الجدل نفسه، دعا ماكرون، في مقابلة إذاعية، السبت الماضي، إلى وقف شحن الأسلحة، التي يمكن أن تُستخدم في الحرب على غزة ولبنان، إلى إسرائيل. وأثارت تصريحاته تلك، رداً غاضباً من نتنياهو، الذي وصم موقفه بـ«العار». ومع أن الزعيمين تواصلا هاتفياً بعد ذلك، إلا أن بياناً رسمياً صدر عن قصر الإليزيه، جاء فيه أن الرئيس الفرنسي لم يتراجع عن معارضته بيع الأسلحة إلى الكيان، ما دام الأخير مستمراً في حربه على غزة ولبنان. ومع هذا، كرّر الرئيس الفرنسي، وفقاً لمكتبه، التذكير بالمشاركة الفرنسية في الدفاع عن إسرائيل ضدّ الهجمات الإيرانية، مجدداً زعمه «حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها»، ضد ما وصفه بـ«الإرهاب»، وضرورة أن تتوقّف الهجمات ضدها، «سواء نفّذتها إيران، أو وكلاؤها في المنطقة».

ويقول خبراء إن فرنسا التي تتمتّع بعلاقات توصف بـ«التاريخية» مع لبنان، تشعر بالاستياء جراء التجاهل التامّ الذي تتعامل به تل أبيب معها منذ إطلاق العدوان على لبنان، ولا سيما أن الرئيس الفرنسي يعيش مرحلة من الضعف السياسي على الصعيد الداخلي، فيما يطيح هذا السلوك الإسرائيلي أيضاً بصورته على المسرح الدولي، ويضع بلاده في موضع هامشي في ما يتعلّق بشؤون الشرق الأوسط، بعدما ظلّت فرنسا لاعباً مهمّاً في كلّ ما يتصل بالشؤون اللبنانية تحديداً. وقادت فرنسا، الشهر الماضي، جهوداً أوروبية للتوسط في وقف لإطلاق النار بين إسرائيل و«حزب الله» لمدة 21 يوماً، يتيح المجال للحل الديبلوماسي. وكان من المفترض أن تتولّى باريس إقناع الجانب اللبناني بقبول الهدنة (أعلنت الحكومة اللبنانية موافقتها عليها)، على أن يتولّى الأميركيون مهمّة إقناع الجانب الإسرائيلي بها. لكن نتنياهو ردّ بشن ضربات بأسلحة أميركية مستهدفاً مقرّاً لـ«حزب الله» في الضاحية الجنوبية لبيروت، ما أسفر عن استشهاد السيد حسن نصر الله.

ويبدو أن الفرنسيين مستمرون في التعبير عن استيائهم من هذا الصلف الإسرائيلي، إذ قرّرت باريس منع الشركات الإسرائيلية من المشاركة في معرض «يورونافال» المخصّص بالحرب البحرية. وقالت مصادر صحافية إن الوفود الإسرائيلية ستتمكن من حضور الحدث الذي سيعقد في الفترة ما بين الـ4 والـ7 من تشرين الثاني المقبل، لكن صناعاتهم الحربية لن تتمكن من عرض منتجاتها، في حدث يُعدّ الأهمّ في هذا المجال على المستوى الأوروبي. وبحسب موقع المعرض الإلكتروني، فإن سبعة من صانعي الأسلحة الإسرائيليين كانوا قد سجّلوا للمشاركة في «يورونافال»، بما في ذلك شركات «رافائيل»، و«إلبيت سيستمز»، و«الصناعات الفضائية الإسرائيلية». وتعليقاً على ما تقدم، أعرب وزير الأمن الإسرائيلي، يوآف غالانت، عن انزعاجه الشديد إزاء هذا القرار، متهماً باريس بتبنّي «سياسة عدائية تجاه الشعب اليهودي»، معتبراً أن «تصرفات الرئيس الفرنسي وصمة عار على جبين الأمّة الفرنسية وقيم العالم الحر، التي يدّعي ماكرون أنه يدعمها». وقالت السفارة الإسرائيلية في باريس، بدورها، في بيان، إن «هذه الإجراءات لا تضرّ فقط بالعلاقات بين بلدينا، ولكن أيضاً بروابط الثقة التي بنيناها، وبالتالي تلقي بظلال من الشكّ على قدرة فرنسا على لعب دور قيادي على الساحة الديبلوماسية لتعزيز السلام والاستقرار في الشرق الأوسط».

> الاشتباك اللغوي بين ماكرون ونتنياهو لن يكون سوى غيمة صيف عابرة


يبدو أن الفرنسيين مستمرون في التعبير عن استيائهم من الصلف الإسرائيلي (أ ف ب)

وستكون هذه هي المرّة الثانية التي تعمد فيها فرنسا إلى استبعاد الصناعات العسكرية الإسرائيلية من المشاركة في معارضها، إذ قررت باريس، في حزيران الماضي، فرض حظر على مشاركة الشركات الإسرائيلية في «يوروساتوري»، أحد أهم معارض الأسلحة في العالم لقطاع التسلّح البري. ومع أن محكمة فرنسية ألغت قرار الحكومة في وقت لاحق، إلا أن ذلك جاء بعد فوات الأوان عملياً لتدبر أمور المشاركة، ما تسبّب باستياء إسرائيلي عميق. ولا يعتمد الجيش الإسرائيلي في تسليحه على الفرنسيين، إذ إن حجم الصادرات العسكرية الفرنسية إلى تل أبيب لا يتجاوز 20 مليون يورو سنوياً. لكن السلطات تواجه، منذ عدة أشهر، ضغوطاً قانونية وشعبية واسعة لوقف رخص تصدير السلاح إلى الكيان بشكل تام.

و تاريخياً، حافظت فرنسا والكيان العبري على علاقات ثنائية توصف بالوثيقة، وظلّت باريس المورّد الرئيس للسلاح إلى الجيش الإسرائيلي، أقله حتى عام 1962 - إثر هزيمتها في الجزائر -، وشاركا معاً - إلى جانب بريطانيا - في العدوان الثلاثي على مصر عام 1956. وكانت باريس أيضاً، وراء مدّ تل أبيب بتكنولوجيا الأسلحة النووية. وباستثناء فترة قصيرة في عهد الرئيس جاك شيراك، الذي كان على علاقة ودية بزعيم «منظمة التحرير الفلسطينية»، ياسر عرفات، ورئيس الوزراء اللبناني الراحل، رفيق الحريري، فقد اتسمت علاقات النظامين دائماً بالدفء، بغض النظر عن اللون السياسي لساكن الإليزيه؛ فكان الاشتراكي فرانسوا ميتران أول رئيس فرنسي يزور إسرائيل أثناء وجوده في منصبه، فيما تعهّد اليميني نيكولا ساركوزي بأن لا يضع يده يوماً في يد زعيم أيّ دولة لا تعترف بحقّ إسرائيل في الوجود. واستمر ماكرون على نهج أسلافه منذ توليه السلطة للمرّة الأولى عام 2017، حتى إنه كان من السابقين إلى زيارة القدس المحتلة تضامناً معها بعد هجوم السابع من أكتوبر. ولذلك، فإن الاشتباك اللغوي بين ماكرون ونتنياهو لن يكون سوى غيمة صيف عابرة ستنقشع في أيّ لحظة تتّخذ فيها إسرائيل موقفاً، ولو رمزيّاً، يظهر احترامها الشكليّ لمكانة فرنسا، بوصفها «صانعة لبنان».

على الغلاف

الدروع البشرية... فكرة عنصرية اخترعها الاستعمار

نجاة فضل الله

رغم أنّ مصطلح الدروع البشريّة رُبّما لم يُستخدم بشكل حرفي، إلّا أنّ المغزى منه تكرّر على ألسن وصفحات كثيرين في الأيام الماضية. وتكرار هذا المفهوم هو على أسوأ تقدير تآمر ورقص على الدماء، وعلى أحسن تقدير سذاجة وتبنٍّ لدعاية استعماريّة قديمة. ولنفهم كيف وصلنا إلى هنا، لا بدّ من أن نعود إلى أصل هذا المفهوم القديم وتاريخ استخدامه.

ظهر مصطلح الدروع البشريّة للمرة الأولى في الصحافة الأميركيّة في أواخر القرن التاسع عشر في الصحافة أثناء تغطيتها للحرب الأميركيّة - الإسبانيّة في كلّ من كوبا والفليبين. وقد استخدمت الصحافة الأميركيّة هذا المصطلح تحديداً في تبرير الوفيات في الفليبين التي تجاوزت آنذاك المئتي ألف ضحيّة بحسب التقارير. وفي بدايات القرن العشرين، لاقى مصطلح «الدروع البشريّة» رواجاً أكبر في الصحافة الأوروبيّة، وخصوصاً في تناول الحروب التحرّريّة في المستعمرات (رغم أنّه لم يكن مصطلحاً قانونياً بعد بل كان مصطلحاً إعلاميّاً). على سبيل المثال، نشرت إحدى الصحف الإيطاليّة عام 1936 رسماً تصويريّاً يُظهر المقاتلين ضمن حركات مقاومة الاستعمار في أثيوبيا وهم يركضون ليحتموا تحت خيمة الصليب الأحمر. وكانت هذه الصورة جزءاً من الدعاية الإعلاميّة التي استخدمتها إيطاليا لتبرير تدميرها لمراكز صحيّة في أثيوبيا أمام الرأي العام، ولتصوير المقاتلين الأثيوبيّين كهمجيّين يُعرّضون حياة المجتمع كاملًا للخطر. أمّا في حرب الولايات المتحدة الأميركيّة ضدّ فيتنام، فقد ذهبت الصحافة الأميركيّة أبعد من ذلك، معتبرةً أنّ المقاومة في فيتنام «تسرّبت» إلى أعماق المجتمع، وصارت تستخدم النساء والأطفال لا كدروع للاختباء خلفها فقط، بل أيضاً كشركاء لها في القتال، ما حوّل استهدافهم جميعاً أمام الرأي العام آنذاك أمراً مشروعاً.

> تتصدّى الدروع الإعلاميّة لأيّ نقد للاعتداءات الإسرائيليّة على لبنان

ويقول نيكولا بيروجيني، وهو أستاذ في علم النفس الاجتماعي في جامعة «ادنبره» وأحد مؤلّفي كتاب «الدروع البشريّة: تاريخ شعوب على خطّ النار»، أنّ مفهوم الدروع البشريّة كان حلّاً لمشكلة واجهتها الدول الكبرى في المرحلة الانتقاليّة إلى ما بعد الاستعمار (بصرف النظر طبعًا عن أنّ ما بعد الاستعمار هو هيمنة من نوع آخر). أثناء الاستعمار، كانت القوانين الدوليّة الموجودة هي لحماية المدنيّين من المُستعمِرين لا الشعوب الأصليّة، أمّا قوى الاستعمار فلها الحقّ أن تتصرّف كما تشاء، من الناحية القانونيّة، مع الشعوب الأصليّة والمحلّية، التي كان يُنظر إليها كنوع أدنى من البشر. وهذا طبعاً ليس كلاماً عاطفياً بل هو الخطاب الطبّي والأكاديمي السائد آنذاك، الذي كان يحشد المبرّرات العلميّة والطبية والاجتماعيّة والثقافيّة التي تُبرهن فعلًا أنّ العرق الأبيض متفوّق على غيره. لذلك، ففي المرحلة الانتقاليّة إلى ما بعد الاستعمار، وجدت هذه القوى نفسها أمام مشكلة وهي أنّ هؤلاء الذين لم تكن تنظر إليهم كبشر صاروا يتمتّعون - نظريّاً - بنفس الحقوق والحماية في القوانين والشرائع الدوليّة. بحسب بيروجيني، فإنّ مفهوم ومصطلح الدروع البشريّة نشأ هنا وتضاعف استخدامه كوسيلة لحلّ هذه المشكلة، لأنّه يسمح للجيش المُعتدي أن يقتل ويدمّر كما يشاء، وكما كان يفعل، من دون أن تعيقه القوانين الجديدة.

وفكرة الدروع البشريّة هي بحدّ ذاتها عنصريّة استعماريّة، تعيد إنتاج قصّة الجيش الغربي الحضاريّ في مواجهة الهمجيّين المتخلّفين. فهي تفترض حكماً أن الجيش المُعتدي حضاريٌّ وإنسانيّ لا يريد قتل المدنيّين، فهو لديه أهداف محدّدة عسكريّة دقيقة مرتبطة بالحرب، لكنّ عدوّه المحلّيّ «همجيٌّ» يحتمي خلف المدنيّين، فيُضطر الجيش عندئذٍ إلى المخاطرة بأرواح هؤلاء المدنيّين الذين يحرص هو عليهم.

تُعرّف معاهدة جنيف الدروع البشريّة على أنّه استخدام المدنيّين لحماية المراكز العسكريّة من الاستهداف. والمثير للسخرية أنّ هذا التعريف، الذي أُضيف للمعاهدة عام 1977، يحرّم استخدام الدروع البشريّة لأنّها «تمنع الاستهداف»، في حين أنّها لا تفعل ذلك، فهي لم تمنع اعتداءً من الجيوش المحتلّة والمعتدية قطّ، بل تُستخدم كشمّاعة إعلاميّة لتبرير القتل والتدمير والإجرام.

اليوم، تتصدّى الدروع الإعلاميّة لأيّ نقد للاعتداءات الإسرائيليّة على لبنان، مدّعيةً أنّ احتماء أشخاص «مستهدفين» ضمن المدنيّين هو ما يُعرّض المدنيّين للخطر (لا الصاروخ الذي يسقط فوق رؤوسهم). المثير للسخرية هنا أيضاً هو أنّ تعريف مصطلح الدرع البشري (وهو كما تمّت الإشارة سابقاً، مصطلح عنصريّ استعماريّ نشأ ليُبرّر القتل والتدمير على نطاق واسع)، لا يشمل هذه البروباغندا الجديدة. أي إنّ تواجد عنصر مقاتل خارج ساحة المعركة، في منزل أو مطعم أو مأوى أو منتجع أو مستشفى، لا يجعل من هذه المساحة ولا من فيها دروعاً بشريّة، حتّى بحسب تعريف القانون الدولي نفسه. يعني ذلك أنّ الأصوات المرتزقة أو المتآمرة أو الساذجة التي تبرّر اليوم قتل المدنيّين تحاول كالعادة أن تكون ملكيّة أكثر من الملك.

ختاماً، من المؤسف اليوم أنّ الصحافة الغربيّة ليست بحاجة إلى بذل الكثير من الجهد لتبرير المجازر. هنالك أصوات محلّية، مدفوعة أو متطوّعة، تفعل ذلك. فاحتلال العقول يحصل عندما تقنع الناس أنّك تستهدف أهدافاً من نوع معيّن، في حين أنّ أهدافك متعدّدة، تشمل القتل وبثّ الرعب والتهجير والترحيل والتدمير، وتُكرّر المصطلحات التي تنقل لوم الجريمة من القاتل إلى الضحيّة، مثل أضرار جانبيّة ودروع بشريّة. وحتى لو عارض الناس مصطلحاتك بادئ الأمر، سيتسلّل مغزاها إلى العقول مع الوقت. حينئذٍ، بإمكانك أن ترتكب مجزرة مروّعة، والناس وحدها سيبرّرون لك ذلك.

نشرت صحيفة إيطالية عام 1936 رسماً يُظهر المقاومين في أثيوبيا، تحت خيمة الصليب الأحمر، مبرّرةً استهداف المراكز الصحيّة

صناعة الخيبة... إستراتيجية في الحرب النفسية الرقمية

زهراء حسيني

ضمن الإستراتيجيات المعتمدة في الحرب النفسية الرقمية التي تتخذ من وسائل التواصل ومجموعات واتساب وتليغرام ساحتها، يعمد العدو ومن يقف معه من جهات مشبوهة ومن يخدمه عن قصد أو غير قصد من المتسرعين، إلى ما يمكن تسميته بصناعة الخيبة: إستراتيجية تعتمد على بث أخبار إيجابية وهمية ترفع سقف التوقعات تجاه حدث ما، يبخس أهمية الحدث الأساسي من جهة ويحدث حالة من الإحباط من جهة أخرى. وقد يتخذ تنفيذها إستراتيجيات متعددة. على سبيل المثال، تزامناً مع العمليات النوعية للمقاومة والتصدي البطولي في المواجهات البرية، تُبثّ أخبار عن تقدم المقاومين واقتحامهم للمستوطنات القريبة من الحدود، أو أخبار عن عملية أسر لجنود صهاينة. وبعد انتشار الأخبار المضخمة كالنار في الهشيم وتفاعل الجمهور الكبير معها، ينجلي غبار الحقيقة ويضيع الخبر الأساسي المهم ويصبح ثانوياً بل محبطاً بالمقارنة مع السقف الذي وصلت إليه التوقعات. ومن الشواهد الأخيرة انتشار أخبار عن استهداف قائد الأركان الإسرائيلي تزامناً مع العملية النوعية على بنيامينا في جنوب حيفا.

> انتشار أخبار عن استهداف قائد الأركان الاسرائيلي تزامناً مع عملية بنيامينا

وبطبيعة الحال، أخذ التفاعل مع هذا الخبر حيزاً على حساب التفاعل مع الخبر الأساسي الذي يشكل بحد ذاته ضربة نوعية وتصعيداً مهماً من المقاومة، ما بخّس من قيمته بعد غياب أي إقرار أو معلومات حول مصير قائد الأركان.

وقبله، تكرّر الموقف بعد تتالي استهداف القادة، إذ انتشر خبر اكتشاف ما وُصف بالعميل الكبير المسؤول عن تسريب المعلومات عن المقاومة، وأنّ المقاومة نصبت له كميناً لاكتشافه عبر إعطائه معلومة خاطئة استهدف العدو بناءً عليها مبنى في بئر العبد في منطقة مأهولة بالسكان. وبالتأمل في هذا الخبر، يتضح لترويجه أبعاد عدة منها الأمني ومنها إشاعة الإحباط ليس فقط تجاه الخبر المترقب، بل يزعزع الثقة بالمقاومة وقيادتها التي يظهرها الخبر بأنها لا تمانع وضع طعم لعدو شرس في منطقة مأهولة...



هذا ليس الشاهد الأخير، فالأمر نفسه حدث بعد خبر استهداف سماحة الأمين العام السيد حسن نصر الله وبدل ترك الناس - بعد ساعات من الاستهداف - ضمن حالة التمهيد لاستقبال الخبر الجلل، بُثت أخبار تؤكد سلامة الأمين العام، ما أعاد رفع سقف التوقعات ليأتي بعدها الخبر بصدمة مضاعفة لكثيرين. هو النمط نفسه الذي يتم اعتماده في مواكبة عملية التفاوض وأخبار قرب وقف إطلاق النار التي رفعت سقف التوقعات في المرة الأخيرة حتى كاد بعضهم يحزم حقائبه ويعود إلى القرى...

وهكذا ينتهي الأمر، ويعوّل مروّجوه على ذاكرة السمكة للكثيرين، ويتكرر السيناريو نفسه مراراً. سيناريو يفتعله العدو ويروّجه المتسرعون أو يفتعله المتسرعون ويروّجونه، وفي كلتا الحالتين النتيجة تخدم العدو ولا تخدم المقاومة وجمهورها بشيء، بل إنّها تضرّ بهما. أمر يتطلّب إجراءات لوقفه، أولها من الجمهور نفسه، الذي ينبغي أن يتوقف عن التفاعل والمساهمة في نشر أي خبر غير دقيق حتى ضمن دوائر ضيقة، لأنّ «لكل عزيز عزيز»، ولكل فرد ضمن العائلة أو الدائرة الضيقة دوائره الضيقة، وبهذه الطريقة ينتشر الخبر غير الدقيق كالنار في الهشيم... والإجراء الآخر بات مطلوباً تجاه المساهمين في ترويج هذه الأخبار وملاحقة المسؤولين والمتهاونين واتخاذ إجراءات صارمة لوقفها، وعدم ترك مشاعر الناس لعبة بين أيدي المتنافسين على اللايكات والمتابعين.

حكم تاريخي في بريطانيا: معاداة الصهيونية «فلسفة جديرة بالاحترام»

رضا صوايا

بعد أكثر من 100 عام على «وعد بلفور» والدور الذي لعبته بريطانيا في إقامة الكيان الإسرائيلي وحرمان الشعب الفلسطيني من أرضه وتشريده، وبعد المحاولات الحثيثة للوبي الصهيوني حول العالم وكل داعميه لشيطنة أي انتقاد لإسرائيل وتحديداً بعد عملية «طوفان الأقصى»، وربط حتى رموز كالكوفية ومطالبات بسيطة تدعو إلى مجرد وقف إطلاق النار في غزة على أنها معادية للسامية، انتصرت محكمة في بريطانيا لحرية الرأي والتعبير، بقرار تاريخي قد تكون له ارتدادات واسعة تتخطى حدود الجزيرة. نصّ القرار على أن الآراء المناهضة للصهيونية بصفتها أيديولوجيا توسعية قائمة على الفصل العنصري والتطهير الإثني والإبادة، هي آراء «جديرة بالاحترام في مجتمع ديموقراطي».

> اعتبرت المحكمة أنّ «ما قاله ميلر لم يكن معادياً للسامية»

تعود قضية البروفسور ديفيد ميلر، أستاذ مادة علم الاجتماع السياسي في جامعة «بريستول» إلى عام 2019، حين ألقى محاضرة تناول فيها الرابط ما بين الإسلاموفوبيا والصهيونية، واعتباره الأخيرة كأحد المسببات الأساسية لصناعة رهاب المسلمين.



اعتبر ديفيد ميلر أنّ الصهيونية من المسببات الأساسية للإسلاموفوبيا

محاضرة لم تمر مرور الكرام لدى اللوبي الصهيوني الذي تحرك على مستويات عدة، السياسية منها عبر الإيعاز إلى النواب البريطانيين المرتبطين به لإثارة القضية في البرلمان، والطالبية عبر «اتحاد الطلبة اليهود» وهي مجموعة طالبية موالية لإسرائيل وتتمتع بنفوذ كبير ومؤثر، ومن أهدافها المعلنة تقديم التزام دائم تجاه إسرائيل ومكافحة الحملات التي تنتقد الصهيونية ودولة «إسرائيل».

لم تثمر الحملة حينها، رغم ضراوتها، كون الجامعة اعتبرت أن ميلر لم يعبّر عن كراهية تجاه اليهود. لكن الترهيب ومحاولات القمع لم تثنيا البروفسور. بعد عامين، وصف ميلر الصهيونية في رسالة إلى جريدة الطلبة في الجامعة، على أنها «كانت وستظل دائماً أيديولوجيا عنصرية وعنيفة وإمبريالية تقوم على التطهير العرقي». واعتبر في الرسالة أيضاً أنّ الجمعية اليهودية في الجامعة هي «مجموعة ضغط إسرائيلية». على إثر هذه المواقف، فصلت الجامعة ميلر مبررة قرارها بأن تصريحاته كانت «مسيئة لكثيرين، وخاطئة وغير مناسبة». قرار استأنفه ميلر أمام محكمة العمل التي أصدرت حكماً في شهر شباط (فبراير) المنصرم اعتبرت فيه أن ميلر تعرض للتمييز عند فصله، وأن آراءه حول الصهيونية محمية بموجب القانون وجديرة بالاحترام في مجتمع ديموقراطي.

وقبل أيام، نشرت المحكمة قرارها، المكون من 120 صفحة، الذي يعد مضمونه صفعةً في وجه الصهيونية. إذ لم يعتبر أن انتقادها فقط مشروع، بل ربط بين الفكر المناهض لها و«المعتقدات الفلسفيّة».

هكذا، تبددت جهود عقود لربط مناهضة الصهيونية بمعاداة السامية والإرهاب، إذ نصّ القرار أن « رغم أن عدداً من الناس قد يختلفون بشدة وبقوة مع تحليل ميلر للسياسة والتاريخ، إلا أن آخرين لديهم المعتقدات نفسها أو معتقدات مماثلة. وجدنا أنه قد أثبت أن المعايير أوفيَ بها، واعتقاده يرقى إلى اعتقاد فلسفي».

وفي نكسة أخرى للوبي الصهيوني ومساعيه إلى فرض قناعاته على المستوى العالمي، وجدت المحكمة أنّ «الصهيونية تعني أشياء مختلفة لأناس مختلفين وليس لها تعريف عالمي». وعوض ترهيب وقمع كل فكر مناهض للصهيونية، خلصت المحكمة إلى أنها «نستنتج أن رواية المدعي في ما يتعلق بطبيعة الصهيونية هي على الأقل متماسكة ومقنعة. المدعي أكاديمي ذو خبرة في الصهيونية والحركة الصهيونية. وقد أشار في أدلته إلى عدد من الأعمال الأكاديمية التي تدعم وجهة نظره حول طبيعة الصهيونية. وبطبيعة الحال، نحن لا نؤيد هذا التحليل أو نعلق عليه بأي شكل من الأشكال، بخلاف استنتاج أنه على الأقل يمكن الدفاع عنه ومتماسك». إذاً وعوض الإدانة المسبقة والجرمية، باتت إدانة الصهيونية «مقنعة» و«يمكن الدفاع عنها». مفردات ليست ببسيطة ولا عابرة في مجتمعات حاولت أن ترفع الصهيونية إلى مصاف المحظور غير القابل للمس. وفي ذروة البروباغندا الصهيونية التي تحاول الربط بين مناهضة الصهيونية والمخاطر الجسدية المحدقة باليهود جراء هذا الخطاب، قالت المحكمة إنّ «ما قاله ميلر تم قبوله على أنه قانوني، ولم يكن معادياً للسامية ولم يحرض على العنف ولم يشكل أي تهديد لصحة أي شخص أو سلامته».

رحيل

مصطفى حجازي... علم النفس وقضية الإنسان المقهور

كامل مهنا*

كبير آخر يرحل من كوكبة الأصدقاء، وخسارة كبيرة حلّت برحيل الدكتور مصطفى حجازي، عالم النفس والاجتماع، والمفكر المبدع المتميز، الذي نشر أفكاره في لبنان والعالم العربي والعالم، عبر مؤلفاته الغزيرة، والدراسات والأبحاث التي قدمها لطلابه وللمؤسسات التي عمل معها. وكنت شاهداً في مؤتمرات شارك فيها، على التفاعل معه، واستلهام أفكاره وعباراته ومصطلحاته واقتباسات منه.

لقد كان تركيزه على موضوع التخلّف في المجتمع العربي الذي يشغل عدداً من المهتمين، وكذلك موضوع الأنا القوية، واستخدامه لمصطلح «المريسة »، أي الرغبة الدائمة في الترؤس. وكانت معالجته لموضوع المرأة ومشاركتها الرجل جاذبةً لما فيها من أفكار جديدة لافتة لنظر المهتمين.

وكان لنا، في «مؤسسة عامل الدولية »، شرف التعاون مع الفقيد الكبير الدكتور مصطفى، منذ بدايات انطلاقتها عام 1980، عن طريق مؤسسة «تيم انترناشيونال لتطوير القدرات البشرية»، عندما انتدب من تلك المؤسسة الدولية لتدريب كادرات «عامل »، وقد دعونا إلى ورش التدريب هذه مؤسسات إنسانية أخرى، شاركت معنا في الإفادة من خبراته المعمقة. من يومها بدأت العلاقة تتطور، واستمرت حتى آخر أيامه، معه ومع زوجته وابنه وابنته.

كان الدكتور مصطفى يركّز في دراساته وأبحاثه على الإنسان وتنمية القدرات البشرية وتمكين المرأة، والعمل الجماعي. وكان بارعاً في أسلوبه المبسط والعميق والجاذب، وفي دراساته الموضوعية، وتشخيصه للمشكلات النفسية والاجتماعية التي تنتشر في مجتمعاتنا، وفي تقديمه للخلاصات التي تفيدنا في عملنا. وهكذا، توطدت العلاقة به، بالتوازي مع آخرين، مثل المؤرخ الدكتور إبراهيم بيضون، والباحث الاقتصادي الدكتور نجيب عيسى، والدكتور سمير مقدسي، والدكتور جورج قرم والدكتور حسن الشريف، وعدد من الإخوة والأخوات الذين كنا نلتقي بهم كأصدقاء، وفي الوقت نفسه نتشارك معهم في المهمات الإنسانية.

مرشد المؤسسة

كنت أطلق على الدكتور مصطفى لقب «مرشد المؤسسة »، لما كان له من قدرة على توصيف الحالات وابتكار المصطلحات المهمة والمضيئة، وتقديم اقتراحات وجيهة. كنت مثلاً أقول «القائد الحقيقي هو الذي يصنع قيادات ». أما هو فقد اختصر الجملة بكلمتين: «القيادة المنمّية ». وفي ظل الصعوبات التي نواجهها في «عامل »، كمؤسسة مدنية غير طائفية، منتشرة في جميع المناطق اللبنانية، بل كمؤسسة دولية، كنا نجلس معه، ونتباحث في تذليل تلك الصعوبات، فيهوّن علينا المهمات باقتراحاته، ويساعدنا في بناء أفكار مهمة لمستقبل عملنا. ولمّا كنت أرفع شعار «التفكير الإيجابي والتفاؤل المستمر»، طرح هو موضوع «القوة الوثّابة ». وهكذا انتقلنا معاً لنقاش كيفية تطوير القدرات البشرية.

وزادت علاقتنا قرباً وتقرباً، إلى أن بات يتكرم بتمثيل المؤسسة في مؤتمرات خارج لبنان، في القاهرة ودول أخرى عدة، ووصلت مشاركتنا معاً إلى تحرير كتاب «دور منظمات المجتمع المدني في مواجهة المخاطر التي تتعرض لها الأسرة في لبنان »، وكتابة مقدمة متميزة لكتابَي «أبعاد التنمية والعولمة المستبدة» و «مواجهة الاستثمار المفرط لمنظمات المجتمع المدني» مميزاً فيها بين العمل الأهلي والعمل المدني.

كانت العلاقة بيننا شبه يومية، وكنا محظوظين به لأنه صاحب ثروة فكرية مهمة وعميقة أفادت وتفيد الطلاب والأجيال الصاعدة، وخصوصاً أنه اهتم في كتاباته بالناشئة. وقد أنجز دراسة أذكرها كثيراً في مداخلاتي، تمحورت حول سؤال طرحه على مديري عدد من المؤسسات العربية، عن ملاحظاتهم على طبيعة عملهم، وكانت الإجابة واحدة: لا اعتراف بأدوارهم. استفدنا من تلك الدراسة في «عامل » المؤسسة الإنسانية النهضوية المبنية على الكرامة الإنسانية، بأنّ كوادرها الـ 1800 الذين من بينهم 85 في المئة صبايا، كلهم قيادات، ولهم دور ويشاركون في القرارات. بل إن كل مسؤول في عامل مسؤول في المجتمع.

بقي الدكتور مصطفى صديقاً عزيزاً لي وللمؤسسة، وقد تكرّم علينا أخيراً بنص يدعم فيه ترشّح «عامل» لـ «جائزة نوبل »، مبني على موضوع الكرامة الإنسانية. وكان أثناء كتابته النص قد دخل حالته المرضية الصعبة التي كنت تابعتها معه ومع زوجته الدكتورة نهى، وولديه حاتم ودانيا.

ساحة قتال

أذكر الكثير من النقاشات التي كانت تدور بيننا، والكثير من الأفكار التي تابعتها في مؤلفاته الكثيرة، ونحتاج إلى استعادتها اليوم وغداً، إذ تركز اهتمامه على نفسية الإنسان المقهور، فرآه يحسّ بالغربة في المجتمع المتخلف، ولا يشعر بأي انتماء إلى السلطة التي يعيش في كنفها، بل بوجود هوّة بينه وبينها، وبالتالي يمكنه أن يخرب المرافق العامة، ويتصرف بعدوانية تجاهها. وحذّر من خطورة غياب السلطة أو ضعف وجودها، إذ يتسبب ذلك في تحول المجتمع إلى ساحة قتال وصراع على النهب. وأنتج الكثير من الأفكار حول الإنسان المقهور، في كتابه الشهير «التخلف الاجتماعي، مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور ». وأشار إلى مراهنة الإنسان المقهور على الزعيم المنقذ الذي يمكن أن يخلّصه من أزماته ومشكلاته، وقد أعفى نفسه من أي دور في السعي إلى خلاصه، وكرّس نفسه تابعاً ينتظر معجزة من الزعيم، بل يعطي المتسلط مشروعية تصل إلى حد التقديس.

سيادة المستقبل

ربط مصطفى حجازي بين تحرّر المرأة وتحرر الرجل، واتهم الأخير بالتهرب من مأزقه ورميه على المرأة، وجعلها محط إسقاطات الرجل السلبية والإيجابية معاً. وبدلاً من أن يثور الرجل ضدّ من تسبّب في قهره، نجده يثور ضد من يمثل عاره الوهمي، أي المرأة المستضعفة. وإذا نبغت المرأة، تسحب منها أنوثتها، فالنبوغ من صفة الرجال فقط. ورأى أنّ المجتمع لا يمكن أن يرتقي إلا بارتقاء جماعي للفئات الأكثر غبناً. وبرأيه أنّ الانفصام بين لغة العلم ولغة الحياة اليومية هو في صلب مشكلات التعلم الشائعة في المجتمعات النامية. وحدّد أن السيادة المستقبلية هي لمن ينتج أكبر عدد من الأفكار العلمية والبحثية ويحولها إلى تكنولوجيا. كما أن فشل تحقيق الذات يولد شعوراً شديداً ومؤلماً بالذنب، من شأنه أن يفجر عدوانية شديدة. وقد اختصر رأيه بقوله: «آفة الأخبار رواتها، وآفة القضايا مناصروها، وآفة المعتقد دعاته ».

ملوك الآخرة والدنيا

ولم يعفِ نفسه من الكلام عن تحالف السلطة والدين، الذي رأى فيه أقوى آليات التحكم وحصار الإنسان في المجتمعات المتخلفة، وهدر إرادته وكيانه. فرجال الدين يتحكّمون بالنفوس، ويمارسون سلطة غير قابلة للنقاش أو المساءلة، يتحولون إلى ملوك الآخرة في مقابل ملوك الدنيا، وليس هناك من منافس لملوك الدنيا في السيطرة على الناس سوى ملوك الآخرة. وإذا هرب الناس من جور الملك يقعون في أسر الأئمة، والطرفان يتحكمان بالإنسان المقهور أو المجتمع المقهور، سواء كانوا رجال الدين في خدمة الملك ومن الداعين إلى ترسيخ سلطته، أم كانوا معارضين له.

وإذا كنا نعمل في مؤسستنا لتحقيق الكرامة الإنسانية، فهو كان أحد الأساتذة في هذا الموضوع، إذ أكّد أنّ العالم المتخلف هو عالم فقدان الكرامة الإنسانية بمختلف صورها، يتحوّل فيه الإنسان إلى شيء، أو أداة، أو وسيلة، أو أي قيمة بخسة. كما أكد أنه عند حد معين من مستوى دون خط الفقر، تهون القيمة الإنسانية إلى درجة التلاشي، وتغيب معها كل معاني الكرامة، ويفتح الباب على مصراعيه لمختلف أشكال انحطاط الوجود، ولاستباحة إنسانية الإنسان، أو رضوخه هو ذاته لاستباحة وجوده.

حصار الثقافة

وفي كتابه «إطلاق طاقات الحياة: قراءات في علم النفس الإيجابي»، تحدث عن إبداعات كبار الأدباء والفنانين، الذين عرف عنهم معاناتهم من اضطرابات نفسية، فرأى أنها تتم ليس بسبب المرض النفسي وإنما رغماً عن المرض، باعتبارها تجليات للطاقات الحية التي لم يصبها المرض، إنها رد الفعل المعافى على المرض، وبالتالي هي إصرار على إظهار طاقات الحياة.

وفي كتابه «حصار الثقافة: بين القنوات الفضائية والدعوة الأصولية»، يعتبر أنّ التساؤل والتحليل والنقد، كأفعال ذهنية، تتطلب جهداً خاصاً، ومغالبة لميل الدماغ إلى الاقتصاد في الجهد. وفي غياب القناعة الراسخة بفرص النجاح الذاتي، لا يتوصل الفرد إلى النجاح. كما يعتبر أن نجومية الرياضة، كما نجومية الفن، لم تعد غريبة عن ثقافة الربح. أما نجومية الجهد والإنتاج والعلم، فتقبع في مكانها المتواضع.

ويعتبر الدكتور مصطفى أنّ الأصولية تدّعي زوراً أنها تملك الإجابة، كما تملك الوصلة المرشدة إلى طريق الخلاص، واستعادة الإيمان باليقينيات التي انهارت، وأنها تقدم ذاتها كرد فعل على التشاؤم المنتشر شمالاً وجنوباً، حول مستقبل الكون والإنسان فيه.

التفكير الإيجابي والشباب

وعن التفكير الإيجابي، يقول: «هو اتجاه ذهني للاهتمام بالأفكار والصور والكلمات المؤدية إلى النمو، النجاح، والتوسع. إنه اتجاه ذهني يتوقع نتائج جيدة وملائمة، كما يتوقع غلبة النهايات الناجحة والطيبة لكل فعل أو وضعية. ويأتي الوعي في أولى خطوات التفكير الإيجابي، فالوعي عنده أن تصبح على صلة بما أنت عليه، وما تشعر به وتفكر فيه وتفعله. وعندما يصبح الإنسان واعياً، فإن آفاق البحث في البدائل والحلول تتجلى. على أنّ التفكير الإيجابي لا يعني أن نتغاضى عن سلبيات الحياة الفعلية، فذلك ليس من الإيجابية في شيء. التفكير الإيجابي هو على العكس من ذلك، ينظر بشكل جدلي إلى سلبيات وضعية ما وإيجابياتها في الآن عينه، ويوازن بينهما. وينظر كيف يمكن العمل على تعظيم الإيجابيات في هذه الوضعية والحد من سلبياتها.

وفي كتابه «الشباب الخليجي والمستقبل »، يعتبر أنّ العمل هو القضية الأم في حياة الشباب، أو القضية الكيانية، لأنها جواز العبور إلى الأهلية الاجتماعية الكاملة: الإنسان المنتج، المستقل مادياً، الذي يمكنه تأسيس أسرة واتخاذ قراراته الحيوية. ويشير إلى أنّ هناك حالة من التناقض الأساسي بين ما تحتاج إليه الأجيال الطالعة للتعامل مع المستقبل بفرصه وإمكاناته وأخطاره وتحدياته، وبين حالة الانشطار الثقافي التي تتجلى معالمها بمزيد من الحدة ما بين ثقافة الصورة والثقافة الأصولية.

ومعروف عن مصطفى حجازي اهتمامه بجيل الشباب والمراهقين، ويختصره بـ «الجيل الناشئ »، ليؤكد تبعاً للدراسات التي أجريت حول الموضوع، أنّ أفضل وسيلة لوقاية هذا الجيل من الآفات، على اختلافها (إدمان، أمراض خطرة، سلوكيات مدمرة ذاتياً)، ليس حملات التخويف الشائعة، وإنما بث الثقة في نفوسهم، وتعزيز تقديرهم لذاتهم واحترامهم، عبر الشغل على ما لديهم من طاقات وإمكانات إيجابية وتنميتها.

وفي كتابه «لماذا العرب ليسوا أحراراً؟ »، رأى أن النهضة لا بد لها من أن تتأسس على مشروع كبير اقتصادي إنتاجي إنجازي، يفرض التغيير السياسي والمؤسسي، كما يفرض تنمية الإنسان وإطلاق طاقاته الحية. واتضح لديه أنّ إسقاط الحكّام لا يكفي وحده لتغيير المصير وبناء مستقبل جديد، وأن وراء استبداد الحكام بُنى استبداد ترسخت خلال عقود طويلة، بل قرون، في المجتمعات العربية على اختلافها، هي التي تسند استبداد الحكّام.

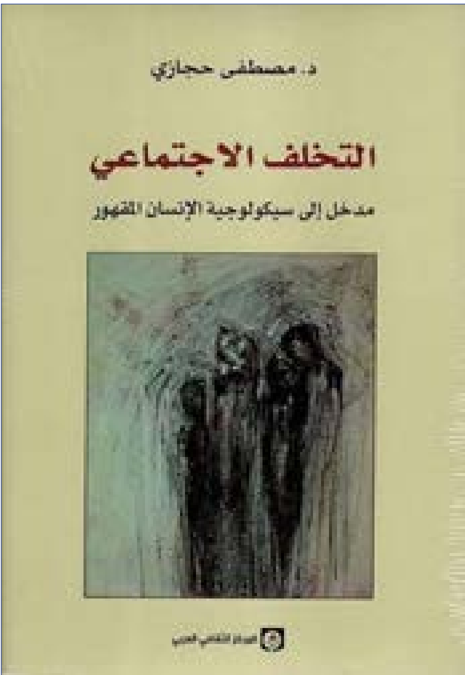
يبقى أن نقول إنّ خسارتنا للدكتور مصطفى حجازي مزدوجة، فهو مرجع كبير سوف نبقى نتزوّد بأفكاره وكتاباته. سوف نفتقده في هذا الوقت الذي نعاني منه في لبنان من تدمير ممنهج للمجتمع، وتحويل بلدنا إلى غزة أخرى. وهو بالنسبة إلى «عامل » صديق وقامة كبيرة، بل هو عضو هيئة الرعاية الوطنية لمشاريع «عامل » التي خسرته مع العضوين الراحلين الأستاذ طلال سلمان والدكتور جورج قرم، كما خسرت رئاسة الراحل الكبير الرئيس سليم الحص لها.

في آخر مرة زار فقيدنا الكبير مقر المؤسسة، كان قد ظهر عليه الوهن بسبب المرض، لكنه كان مصراً على حضور إحدى مناسبات المؤسسة مؤكداً وفاءه لها ومحبته لمحبيه فيها.

أحرّ التعازي لزوجته العزيزة وابنه المهندس حاتم والمهندسة دانيا.

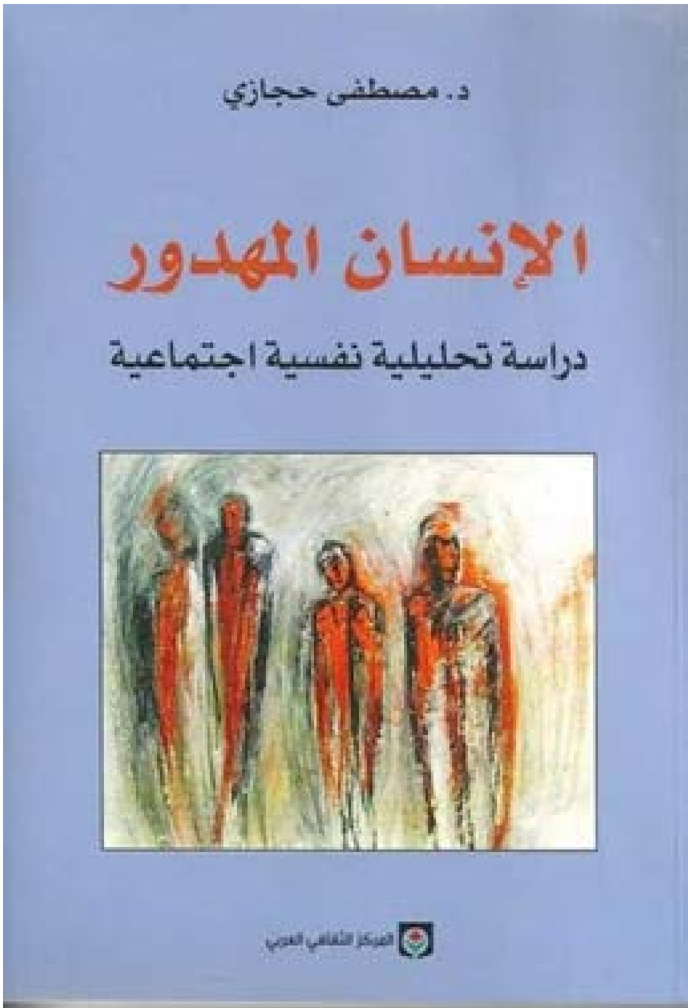
* مؤسس ورئيس «مؤسسة عامل الدولية»











في سطور

أصدر «المجلس الثقافي للبنان الجنوبي» بياناً ينعى الراحل ويتوقف عند مسيرته وإنتاجاته التي أثرت المكتبة العلمية. وجاء فيه: «في ظل عدوان إسرائيلي همجي غير مسبوق، يغادرنا الأكاديمي والمفكر اللبناني المميز الدكتور مصطفى حجازي، بعد رحلة طويلة أمضاها في التأليف والتعليم ورفد المكتبة اللبنانية بعدد من المؤلفات الجديرة التي حاكت علمَي النفس والاجتماع. الدكتور حجازي وهو عضو في «المجلس الثقافي للبنان الجنوبي»، من مواليد مدينة صيدا، حصل على إجازة في علم النفس من جامعة «عين شمس» في مصر عام 1960. وفي عام 1964، سافر من أجل زيارة إنكلترا للاطلاع على مؤسسات رعاية الطفولة والناشئة المتكيفة وخصوصاً «تجارب العلاج المؤسسي ». وفي عام 1965، حصل على دبلوم علم الجريمة العيادي من جامعة «ليون» في فرنسا، ثم حصل على الدكتوراه في علم النفس من الجامعة نفسها. شغل الراحل حجازي وظائف عدة منها: أستاذ علم النفس في الجامعة اللبنانية بين عامَي 1983 و 1990، وأستاذ الصحة النفسية والإرشاد النفسي في جامعة البحرين من 1991 إلى 2006.

من مؤلفاته التي لاقت أصداءً واسعة: «التخلف الاجتماعي: مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور» و«علم النفس والعولمة »، و«إطلاق طاقات الحياة »، و«ثقافة الطفل العربي بين التغريب والأصالة »، و«الفحص النفسي»، وغيرها من المؤلفات التي أثرت الحقل المعرفي النفسي العربي. المجلس الثقافي للبنان الجنوبي، وإذ ينعى الدكتور مصطفى حجازي، فإنه ينعى قامة علمية كبيرة أثرت الثقافة العربية عموماً واللبنانية خصوصاً بمؤلفات أصبحت مرجعاً لطلاب الجامعات والباحثين في مجالات علمَي النفس والاجتماع».

> كان تركيزه على موضوع التخلف في المجتمع العربي

هل يُفتى وشوقي خرج من المدينة؟



محمود شريح *

غادرنا شوقي أبي شقرا والوقت مأساة وكان لنا عزاء. غادرنا شوقي والدنيا انكسار وكان لنا نصيراً. غادرنا شوقي وبيروت تضمد جراحها وكان لنا بلسماً. هو الذي فسح للحداثة حين نقّح مسوّداتها لثلاثة وثلاثين عاماً، وقبل ذلك طوال عقد، كان للقصيدة رائداً ومترجماً وناقداً. في البدء، في عام 1956، مع ميشال نعمة وجورج غانم وإدمون رزق في حلقة «الثريا »، فإلى مجلة «شعر» مع يوسف الخال في 1959، فصحيفة «النهار» لثلث قرن، وهو الذي فتّت أضراس اللغة التي حان تفتيتها آنذاك.

وهو في حداثة القصيدة لا شبيه له. يقف وحده في أناقة البيت وحنانه. وهو في العبارة صنو نفسه وإن كان سليل المدرسة النثرية اللبنانية من حيث التركيب وجرأة المفردة وإيحائها. إنه شوقي أبي شقرا. ولد لمجيد فارس أبي شقرا ومنيرة مخايل أبي شقرا في محلة نهر بيروت، وإن كان أهله من مزرعة الشوف. الطفولة بين الأشرفية والجبل. أما الدراسة ففي «الحكمة». الزواج في 1971/4/7 من حلوة باسيم، والعشاء عندهما في فسوح الأشرفية أو في بيت شباب في بكفيا. كبة زغرتاوية نية أو مقلية لا همّ، وحلوى عربية محشوة بكريم شانتيي تنقلانك إلى سدرة المنتهى وزمان الوصل في الأندلس.

وهل يُفتى وشوقي خرج من المدينة؟

* كاتب فلسطيني



الأخبار
al-akhbar

السبت 19 تشرين الأول 2024 العدد 5327

www.al-akhbar.com

على طريق القدس



في لفتة تضامنية مع نضالات المقاومة الإسلاميّة في لبنان، أزاحت دولة فنزويلا الستار أخيراً عن جداريّة في أحد شوارع العاصمة كاراكاس، تصوّر الأمين العام لـ«حزب الله»، الشهيد السيد حسن نصرالله. تأتي هذه الجداريّة كدعم معنوي من الشعب الفنزويلي المؤيّد للقضيّة الفلسطينيّة وحركات مقاومة الاستعمار الصهيوني في المنطقة، وتكريماً لنصرالله الذي أدّى دوراً محورياً في دعم المقاومة الفلسطينية والدفاع عن حريّة الشعب اللبناني حتى الشهادة.

آسا وينستانلي... التهمة صحافي ضد الإبادة



داهمت شرطة مكافحة الإرهاب البريطانيّة أخيراً منزل المحرر المساعد في مجلة «الانتفاضة الإلكترونيّة»، آسا وينستانلي. إذ طرق عشرة ضبّاط باب منزله الواقع شمال لندن قبل الساعة السادسة صباحاً، وقدموا للصحافي أوامر اعتقال وأوراقاً أُخرى تسمح لهم بتفتيش منزله وسيارته بحثاً عن الأجهزة والوثائق. حمل التصريح الذي يسمح بتفتيش منزل وينستانلي رسالة له تفيد بأنّ السلطات البريطانيّة «على علم بمهنتك كصحافي، لكن مع ذلك، تحتاج الشرطة إلى التحقّق من جرائم محتملة، بموجب المادتين 1 و2 من قانون الإرهاب». المادتان المشار إليهما تتهمان وينستانلي «بالتحريض على الإرهاب»، وأبلغه أحد الضبّاط بأنّ التحقيق مرتبط بمنشوراته على منصّات التواصل الاجتماعي، حيث يحظى وينستانلي بأكثر من مئة ألف متابع على منصّة «إكس»، ويشارك بشكل متكرر مقالات وآراء تتناول الجرائم التي ترتكبها «إسرائيل» بحق الشعب الفلسطيني، وانتقاد دعم الحكومة البريطانية لهذه الجرائم. كما يدعم عبر منشوراته المقاومة الفلسطينية، وينتقد الفصل العنصري والإبادة الجماعيّة. رغم مصادرة ملفات وأجهزة الصحافي البريطاني، إلّا أنّه لم يُعتقل، ولم تُثبت عليه أي تهمة حتّى الآن. إلّا أنّ بعض الصحف البريطانية، بما في ذلك الصحيفة التي يعمل فيها، اعتبرت أنّ هذا الإجراء محاولة لإسكاته وترهيبه، وكذلك ترهيب الصحافيين أمثاله الذين ينتقدون جرائم الاحتلال الصهيوني.

الحريّة لهبة أبو طه

«نتضامن مع الصحافيّة هبة أبو طه ونطالب ببراءتها غير المشروطة. إنّ استخدام القوانين الغامضة والعقابية لاستهداف الصحافيين يشكّل سابقة خطيرة تُعرّض المشهد الإعلامي في الأردن وخارجه للخطر». هذا ما تضمنّه بيان صدر أخيراً عن تحالف «حريّة المرأة في الصحافة»، ويأتي هذا البيان بعد مرور أربعة أشهر على صدور حكم بسجن الصحافية الفلسطينية الأردنية، هبة أبو طه، لمدّة عام ودفع غرامة بقيمة سبعة آلاف دولار أميركي. وقد صدر هذا الحكم عن المحكمة الأردنية بعدما نشرت الصحافية تقريراً استقصائياً يوم 28 نيسان (أبريل)، على الموقع اللبناني الإخباري «الناشر»، تحت عنوان «شركاء في الإبادة الجماعية... رأس المال الأردني متورط في الإبادة الجماعية في قطاع غزة». تضمّنت المقالة التي تحمل توقيع أبو طه، تفاصيل وأدلّة تؤكّد على أنّ الأردن يسمح بمرور شاحنات الشركات الإقليميّة إلى «إسرائيل» عبر جسر برّي، في الوقت الذي كان «أنصار الله» يحاولون التصدّي لسفن الشحن المتجهة إلى الكيان العبري. ودعمت أبو طه تقريرها بفيديو مدته تبلغ 15 دقيقة، يتضمّن أدلة جمعتها الصحافيّة سراً. وسرعان ما قدمت «هيئة الإعلام الأردنية» شكوى تتهم فيها أبو طه «بالتحريض على الفتنة والشقاق بين أفراد المجتمع وتهديد السلم المجتمعي والدعوة إلى العنف». أدّى هذا الاتهام إلى اعتقال أبو طه لمدة شهر قبل صدور الحكم الأخير عليها. وقد تقدّم محاميها في هذه الفترة مراراً بطلب الإفراج عنها بكفالة، لكنّ الطلب قوبل دائماً بالرفض. كما عملت منظمة «مراسلون بلا حدود» للضغط على الأردن من أجل الإفراج عنها، معتبرةً أنّ المادة القانونية التي تدعم اعتقالها بمثابة «تشريع سالب للحريّة». ووصف رئيس مكتب المنظمة في الشرق الأوسط، جوناثان داغر، هذا الحكم «بالانتكاسة الكبيرة للحريات الصحافية في المملكة» وقال إنّه «لا يهدد فقط هبة أبو طه، بل يهدد أيضاً سلامة جميع المراسلين والصحافيين». وبعدما فشلت جميع محاولات الضغط على المحكمة الأردنية من أجل الإفراج عن هبة أبو طه، لم يكن بوسع تحالف «حريّة المرأة في الصحافة» سوى إدانة المحكمة الأردنية في بيانها الأخير، الذي جاء فيه: «ندين بشدّة الحكم على الصحافية الاستقصائية هبة أبو طه... يعدّ الحكم الأخير عليها انتهاكاً خطيراً لحريّة الصحافة وتصعيداً مثيراً للقلق... وهو محاولة واضحة لإسكات الأصوات الناقدة وخنق الصحافة المستقلة. إنّ هذه الإجراءات لا تهدد المبادئ الأساسية لحريّة التعبير فقط، بل تهدد أيضاً سلامة الصحافيين وأمنهم، وخاصة الصحافيات، اللواتي يواجهن غالباً مخاطر غير متناسبة في سعيهن إلى الحصول على الحقيقة».



الأخبار
al-akhbar
صادرة عن
شركة أخبار بيروت

■ رئيس التحرير
ابراهيم الأمين

■ مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

■ مجلس التحرير
أمل الأندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

■ المدير الفني
صلاح الموسى

■ المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
■ تلفاكس: 01759500 01759597
■ ص.ب 113/5963


/AlakhbarNews

@AlakhbarNews

/AlakhbarNews

■ الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
■ التوزيع
شركة الأوائل
03 / 828381 ـ 01 /666314ـ15
■ الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com